العازف

دار نبــوغ للنشر والتوزيع

الكتاب: العازف
المؤلف: يوسف محمد
الغلاف: فريق عمل الدار
تنسيق داخلي وإخراج فني :
فريق عمل الدار
الطبعة الأولى: 2021
رقم الإيداع: 29458/2021
الترقيم الدولي I.S.B.N: 978-977-6872-68-4

المدير العام: مروة المصري

التليفون: 01100528522

لمراسلة الدار: Email:
darnebogh@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

جميع الحقوق محفوظة ©

نبوغ للنشر

العازف

رواية

يوسف محمد

دار نبـــوغ للنشر والتوزيع

إهداء

- إهداء الأول يذهب إلي أمي... ولكم أنا محظوظ بحصولي علي أم مثلك.... كنتي لي خير العون والصديق وكنتي لي الأب والأم ادعو الله أن يطل في عمرك ولا أره فيك سوء ابدًا،
- أهدي تلك الرواية إلي أخواتي العزيزات علي قلبي يعلم الله وحده معزتكن وحبي لكم ولكم أخذت نصيحة كل منكن في كل فصل من الرواية وأكون في قمة السعادة حينما أره الأنبهار والأنفعال علي وجهكم أثناء القراءة
- إهداء الشخصي إلي أبي رحمه الله لكم كنت أتمني أن تكون متواجد الآن كنت أريد بشده أن أره رد فعلك حينما عدت للمنزل وفي يدي عقد روايتي الأول لذلك أهدي روايتي
- إهداء الثالث إلي الكاتب الجميل وأستاذي أستاذ بهاء حجازي فكم كنت خير عون و سند لي أثناء كتابتي للرواية ولم تبخل علي بالنصح والأرشاد في كيفية جعل الرواية جيد، اشكرا بشده علي نصحك
- أهداء الرابع وليس الأخير إلي أختي العزيزة وصديقتي المفضلة الكاتبة الصاعدة مريم سامح كنتي خير صديق وعون أثناء كتابتي للرواية ولكم اعطيتني من أمل في لحظات اليائس.... ادعو الله أن اراكي يوما تحصلين علي أعظم الجوائز... من بعدي بالطبع
- إهداء الأخير لك يا عزيزي القارء أتمني أن تنل روايتي أعجابك وأن تكون قد استمتعت

عازفٌ على أوتارٍ من دماء

ترقصُ الشّياطينُ مِن حوله..

تحذير

(جميعُ أسماء الجنّ وملوكِ الجنّ المذكورين في الرّواية حقيقيّةٌ؛
فلذلك نرجو الانتباه..)

المكان: قرية صغيرة

سنة: ١٩٩٨

كانت ليلةً سوداء حالكة, تلك الليلة التي قدّر لها أن تنتهي بعقدِه الجديد مع الشّياطين, عقدٌ لا يقلّ خطورة وشرًّا وإجرامًا عمّا سبقَه من عهودٍ مع قبائل الجنّ وملوكهم. ولمَ لا! وهوَ ومَا وصلَ إليه من قوّة وجبروة؛ فهو السّاحرُ العليم...

أبو عابد المقرضي

السّاحرُ الذي خضعَ له أقوى ملوكِ الجنّ السّبع؛ وهو الملك المعظّم رقيائيل, وجنوده الذين كانوا جميعًا في معيّة ذلك الساحر, فلم تسلمْ تلك القرية الصغيرة التي تقع على أطراف السلّوم مِن مكرِ وشرّ ذلك الساحر, حتّى وصلَ جميع مَن فيها إلى مرحلة أنّهم يخشونَ ذكرَ اسمه؛ بل ويخشونَه هو شخصيًّا كخشيتهم للموت, بل أصبحوا بين ليلة وضحاها يتباركون به, وكأنّه من أولياء الله! لم يكنْ هناك مَن يقوى على الوقوف في طريقِه, حتّى جاءت تلك الليلة المشؤمة، التي بدأت أحداثها مع تلك المرأة التي أقبلت إلى منزله في غير وقتِ استقبال المسحورين, قاطعةً عليه خلوتَه لتستعين به على الشّياطين التي جعلتْ ابنَها الصغير غريبَ المظهر والتصرفات.

- إلْحقني يا شيخنا, ابني يا مولانا بتحصلّه حاجات غريبة, وولاد الحلال دلّوني عليك عشان تلحقه... ومين غيرك يا سيدنا في القرية يقدرْ على كده، ده انتَ سرّك باتع يا شيخنا.

- ما له يا وليّة؟ حاجات غريبه ازّاي يعني!

قالها المقرضي بتأفّف- مُهملًا محاولة المرأة في تعظيمِه- بعد أن اضطرّ أن يقابل تلك الحمقاء التي صمّمت على مقابلته, حتّى وإنْ كانت آخر لياليها في الحياة.

- عنده حَول بسيط في عينه, ولسانُه شكله غريب كده, تحسّه معووج, ومشقوق متعرفش زيّ لسان الحيّة بالظّبط.. وطول الوقت تايه مبيتكلّمش خالص, وله عينُه يا مولانا يا حفيظ بتنوّر يا مولانا! بتنوّر.. و.. وتحسّ إنّ..

- أنتِ بتقولي عينُه فيها حَول, ولسانه مشقوق؟! أنتِ متأكّدة من الكلام ده؟

قاطعها المقريضي بعد أن أظهرَ لهفةً غريبة تعجّبت لها المرأة في سؤاله عن الطفل بعدَ أن نسي غضبَه من عقدِه المعطّل بسبب تلك الحمقاء, فمِن صفات هذا الشيخ أنّه جامد المشاعر والملامح, لا يتأثّر بسهولة.

- أيوه يا شيخنا, عينه بتنوّر, وفيها حَول, ولسانه مشقوق.

نظرَ الشيخ إليها نظرة صارمة, وقال آمرًا بغير نقاش, ويصاحب قوله قليلٌ من التخويف.

- الواد ابنك لازم يجيلي هنا ضروري, أنتِ فاهمة؟ تخرجي من عندي فورًا وترجعي بيه, يا إمّا ابنك هيحصلّه حاجة, مش بعيد أن الجن يخطفُه تحت الأرض, ومتشفيهوش تاني.

- يا ندامتي! لا.. لا يا مولانا, أنا هجبهولك فورًا, إدّيني بسّ نُصّ ساعة, مسافة السكة يا شيخنا.

أشار لها أبو عابد بالانصراف بإشارةٍ من يده وكأنّها مجرّدُ شيء غير ذي قيمة ليُنهي الأمر. ثمّ ما لبثت هي على الفور أن استجابتْ لأمره وخرجتْ من الغرفة التي لا تختلف كثيرًا عن غُرف الدجّالين المعروفين في الأفلام والمسلسلات, على الرّغم أن تلك الغرفة كان يوجد بها أمرٌ آخر, أو شيء آخر.. شيء يقبع في الظّلام في آخر الغرفة.

نظرَ الشيخ لمَن كان حاضرًا تلك الجلسة في الظلّ, ولمعت عينُه أيضًا حينما سمع أمر الفتى, وقال له الشيخ- بعد أن تجسّد أمامه- في خشوع ومذلّة مختلفة عمّا كان يتحلّى به من قوّة منذُ قليل.

- مولاي قائد جيوش الساماد القائد دنهش سفير ملك ملوك الجنّ الأعظم رقيائيل, أتمنّى أن أكون قد نلتُ رضاكم عن أدائي في خدمتكم.

تحرّك ذلك الكائنُ من موضعِه في الظلّ ليظهر أكثرَ المخلوقات رعبًا على الأرض... فقد كان ذا بشرةٍ سوداء تُشبه خلقةَ سكان أفريقيا؛ طويل القامة ولكنّ طولَه يختلف كثيرًا عن البشر, ذو جسدٍ قوي, يرتدي على رأسه طربوشًا أحمر لا يتناسب معَ العصر الحالي, ولا يتناسب أيضًا مع بقيّة ملابسه! وعيناه كانتَا سوداوَيْن بأكملهما معَ غيابٍ للجزء الأبيض, أمّا بقيّة ملامحِه لم يكنْ وصفها أقلّ رعبًا ممّا وصفنا.

اقتربَ من السّاحر الذي كان ينظر إليه وكأنّه فأرٌ صغير من خوفه من ذلك الكائن الذي يستطيع أن يدمّره بحركة أصبع، وقال له بصوتٍ جَهْوريّ مُرعب.

- أنتَ أقلّ من أن تنال رضا أقوى وأعظم مخلوقٍ على الأرض! يكفي أن أجعلك قويًّا على بني جنسك الحُقَراء, وأن أستمرّ في جمح رغبتي في قتلك أيّها العبد.

قال المقرضي بعد أن استجمع جزءًا من شجاعته:

- ولكن, يوجد بيننا عهدٌ يلزمني بالخدمة ويلزمُكم بالعوْن.

- فلتذهب أنتَ وعهدك هذا إلى الجحيم.

قالها دنْهش بغضبٍ شديد, ممّا أجفل المقرضي على أثرها, فهوَ أقوى مُحاربي قبيلة رقيائيل؛ بل وأقوى جنّي في ممالك الجنّ السّبع التي لا يستطيعُ أن يسيطرَ عليه أيّ أحد, ويرتعد من ذكْر أسماء هؤلاء البشر الحمْقة ينتهي به الأمر كخادمٍ لذلك الأخرق المدْعو المقرضي. كلّ هذا حدثَ بسبب العهد السُّليماني الذي ألقاه عليه بعد أن قام بتحضيره حتّى يأمنَ من شرّه, وبسبب تلك الكلمات استطاعَ أن يسيطر عليه, ممّا بالطبع أعجبَ الملك الأعظم رقيائيل فأحضره إلى عالمه حتّى يتمّ العقد مع ذلك البشري النّذل الذي لا يوجد أيّ فائدة منه غير أنّه مجرّد أداة ذكيّة للسيطرة على بني جنسه الحُقراء.

- أيّها القائد دنهش.

قاطعَه المقرضي من أفكاره بعدَ أن طال عليه الصمتُ من ذلك الجنّي, فهو يعلم قوته, وفي نفسِ الوقت يشعر بسعادةٍ أنّه هو المسيطر عليه- حتّى الآن بالطبع-.

أكملَ حديثه قائلًا بنبرة تمنٍّ, وعيناه يغزوهما الطمع:

- أنتَ تعلم أنّه إذا كان هذا الطفل من الزّوهريين فهذا يعني قوّة أكثر لي, وخدمًا أكثر.. أليس كذلك؟!

نظرَ إليه دنهش باحتقار, ثمّ قال له:

- أن كان ذلك الطفل من الزوهريين, واستطاعتْ أن تحضره إليّ؛ سوف اجعلْ قبيلة كاملة من جنودي في خدمتِك, أمّا أن أخطأت فإنّ ذلك لن يُرضي مولانا الأعظم, ومن الممكن أن ينتقم منك.

تحسّس المقرضي رقبتَه على إثرِ تلك الجملة وهو يتخيّل المصيرَ الأسوأ, ممّا أثار ضحكَ دنهش بشدّة وهو يقول:

- لا, لا تقلق؛ فهو لن يقوم بقتلك.. فالموتُ راحة لك, أليس كذلك! ولكن سوف يجعلك تتمنّى الموتَ في كلّ لحظة تعيشها, وأيضًا لن تناله أبدًا, حتّى إذا حاولت أن تنتحر سوف أنقذك في كلّ مرّة حتّى تتعذّب أكثر, وأكثر.

قال جملته الأخيرة وفي عينه المرعبة نظرة شماتة ورغبة شديدة في حدوث ذلك الأمر.

- لا تقلق أيها القائد, فلن يكون موتي سهلًا هكذا؛ فأنا المقرضي, أقوى ساحرٍ في مصر؛ بل أقوى ساحر في الأرض.

قالَها المقرضي في غرورٍ غريبٍ لم يتناسب مع حجمه مقارنةً بالمخلوق الواقف أمامه. قاطع ذلك الحديثَ دخولُ خادم المقرضي للمكان ليعلمه بحضور السيدة بالطّفل كما أمر قبلَ أن يخرج بعدَ أن نهرَه المقرضي بأفظع الألفاظ متوعّدًا له بالويل إذا دخلَ عليه الخلوةَ مرّة أخرى.

خرجَ الخادمُ مرعوبًا ليسمح للسيدة بالدخول, وعلى وجهه علاماتُ الخوف والامتعاض.

دخلت السيدة التي كانت في أواخر عقد الأربعين, وفي يدها طفلٌ لا يتجاوز الستّة أعوام, أبيض البشرة, بل شديد البياض, بالإضافة إلى

وجود بعض الشّعْر الأبيض البسيط في رأسه, صاحبُ حولٍ خفيف في عينه, وكانت نظرةُ عينه اليمنى تصبّ في عينه اليسرى, يصاحبها ذلك البريقُ في عينيه، بمجرّد دخوله بدَا على المقرضي شيء من الفرحة والرّاحة وهو يتأكّد من أولى علامات الزّوهريين في ذلك الطفل. أمرَ المقرضي الطفلَ بالجلوس بجواره, ففعل الطفلُ وهو ساكتٌ لا يظهر عليه رعبٌ أو خوف من المكان مثلَ والدته التي كانت ترتعد فرائصها. أخذ المقرضي بيدِ الطفل اليمنى ونظرَ في خطوط الكفّ فوجدَ خطًّا مستقيمًا متّصلًا, يقطع اليد بشكلٍ عرْضي, وكانت تلك علامةً أكيدة من علامات الزّوهريين. أمر الفتى بفتح فمِه وأخرج لسانه ليجدَه مشقوقًا بالطّول إلى نصفين, ممّا زاد تأكيده على أنّه طفلٌ زوهري, تبقّى فقط أن يعلمَ ما درجة ذلك الطفل.... فالأطفال الزّوهريّون درجات, ولكلّ منهم استخدام, وهذا ما سوف يعلمه دنهش وليسَ هو.

اقترب دنهش من الطفل حتّى يعلم إذا ظهرَت أيّة إشاراتٍ على جسم الصّبي تدلّ على شعوره لوجودِ كيانٍ بجواره, أو أيّ شيء؛ ليعلمَ درجتَه كزهري.. ولكنْ كانت المفاجأة أن الطفل نظر مباشرةً إلى عين دنهش نظرة ثاقبة كادت تخترق روحَ دنهش, وبلا ذرّة خوف, ممّا أربك دنهش لوهلةٍ, فهو لم يتعرّض إلى ذلك الموقف من قبْل, وأيضًا أربك معه المقرضي, إلى أن قاطعَت ذلك الإرباك أمُّ الصبي في لهفة وهي لا تدري أيّ شيء ممّا يحدث, وقالت:

- إيه يا مولانا, طمنّي! الواد ما له.. فيه إيه؟!

التفتَ إليه المقرضي وكأنّه لم يلاحظ إلّا الآن أنّها هنا.

- متقلقيش, ابنك تمام مفيهوش حاجة, هوّ بسّ مربوط, وعليه عَمَل سُفلي قوي, و...

- يا لهوي! يا سواد السواد.

قاطعته الأمّ برعبٍ وهي تسمع ذلك عن ابنها, وقالت في خوف:

- والعمل يا مولانا؟ الواد ده هوّ الحيلة, اعملْ أيّ حاجة, الواد هيضيع منّي... ده أنا جيْباهولك من وَرَا أبوه, ده لو عرف إنّي جبته هنا ممكن يقتلني؛ أنتَ متعرفش.. ده راجل مبيآمنْش بالكلام ده خاااالص, ومُمكن يبهدلني.

- خلاااااااص اسكتي!

صرخَ فيها المقرضي بعد أن فقدَ صبره حتّى يخرسَها ليستطيع التفكيرَ في طريقه يجعل الصّبي معه في البيت لأطول فترة ممكنة بدون أمّه.

- بصّي يا وليّة, أنتِ تسيبي الواد ابنك هنا وبُكره الصّبح أو باللّيل ع الفجر أنا هجبهولك وهيبقى زيّ الفل. وكمان هعملهالك لوجه الله من غير فلوس.

- أسيب مين يا شيخنا! عمرها متحصل, أنا مسبْش ابني أبدًا يبات برّه حُضني... بقولّك أبوه يموّتني.

- قلتلك تسيبيه, يا إمّا انتِ عارفة غضبي, وهيوْصَلك غضبي قبل غضب جوزك, أنتِ سامعة؟ ومتخافيش من جوزك مش هيقدر يعملّك حاجة، افهمي.. الواد العمل بتاعُه شديد, وهيحتاج شُغل كتير, فلازم يفضل معايا أطول فترة, يلّا...

خرجتِ الأمّ بعد محاولات عديدة أن تأخذ ابنها باءت كلّها بالرفض والتحذير من غضب مولانا.

خرجت وهي تبكي أشدّ البكاء, وتندم على ما فعلته, ولا تعلم ماذا تقول لأبيه حين يعود من العمل!

****

أمرَ المقرضي خادمَه بأن يصرف جميعَ الزّبائن اليوم, ولا يدخل أيّ أحدٍ عليه, ولا حتّى هو؛ حتّى ينفرد بذلك الصبي.

اقتربَ دنهش من المقرضي في خلوتِه بعيدًا عن الصّبي, وقال له:

- هذا الصبي مُختلف عن كلّ الزوهريين الذين قابلتُهم في حياتي؛ فهو ذو قوّة شديدة, أنا لا أعلم درجتَه حتّى.. وهذه أوّل مرّة يستطيع صبي زوهري أن ينظرَ إلى عيني مباشرة وكأنّه يَراني.. بل ذلك الفتى يستطيع أن يراني, وهذا يعني أن قوتَه تفوق قوّة كلّ من قابلتُه من قبل.

- وأستطيع سماعَك أيضًا.

قاطعَهما الصّبي الصغير بتلك الكلمة التي سقطتْ عليهم سقوطَ الصّاعقة, حتّى دنهش لم يستطعْ أن يخفي اندهاشَه ممّا حصل الآن.

اقتربَ المقرضي من الفتى حتّى يتأكد من أن الصبي واعٍ لمَا قاله, فأغلب الزوهريّين لا يتحدّثون إلّا بعد أن تنْجلي عنهم الموهبة أو الميْزة في الكبر, وحتّى أمّه قالت إنّه لا يتحدث إلّا نادرًا, أمّا هذا.. فيتحدث!

قال المقرضي في استفسار:

- أنتَ بتكلم مين؟!

لينظرَ الصبي في عينه مباشرة, وعلى وجهه ابتسامةُ براءةٍ مُخيفة..

- بكلّم دنهش!

****

- بتقولي عملتِ إيه يا وليّة؟!!

نطقَ بها الحاج حسن, شيخ الجامع الكبير, وقد بلغَ غضبُه عنانَ السّماء, موجّهًا حديثه إلى امرأته بعدَ أن قالت له ما قامت به مِن أخذها للصّبي عند الساحر.

- وأنا أعمل إيه يا خويا! أنا كنت خايفة على الواد, ومكانش في إيدي حاجة أعْملها, ملقتش غير كده.

- حسبي اللهُ ونعم الوكيل فيكِ, ربّنا ينتقم منك يا شيخة, طلاق تلاتة ما تباتي على ذمّتي, بسّ ألحق الواد, قدّامي.. قدّامي لبيت الزفت الدجّال ده نجيب الواد.

- لا.. لا, مش هينفع نروح له, لا.. أحسن يؤذينا, سيبه وهوّ قالّي إنّه هيجيب الواد, سيبه..

_أنتِ اتجنّنتِ يا وليّة! واد مين اللّي هيجيبه! أنتِ فاكره ابنك هيرجع تاني, قسمًا عظمًا لو الواد ده حصلُه حاجى لكون قاتلك يا وليّة.. سامعاني.. هقتلك واشْرب من دمّك. أمّا ابن النصّابين ده.. أنا هتّصل بالبوليس وأولّع فيه, وفي أهله بجاز وسخ.

أنهى كلامَه وخرجَ غاضبًا بعد أخذ قراره أن الأسلم الذهاب للقسم حتّى يأمن مكرَ ذلك الساحر, وحتّى لا يتعرّض له أهل القرية الذين يعاملونه - أي المقرضي- على أنّه وليّ. هذا أسلم تصرّف من وجهة نظره, وهو يعزم أيضًا على قتل ذلك الدجّال إذا لم يسيطرْ عليه رجالُ الشرطة.

******

ظلّ المقرضي مندهشًا من معرفة الصبي بذلك الجنّي القوي, ومعرفته أنّه حاضر, ومع ذلك لا يظهر عليه أيّة نظرة خوف. كان الأمر مذهلًا بالنّسبة له, فذلك الفتى إذا كان يملكُ كلّ تلك القدرة فهو إذًا يستطيع مِن خلالها أن يسيطر على مملكة من الجن, وليس قبيلة واحدة مثل التي وعدَه بها دنهش.

ذهب المقرضي ليأتي بالأدوات اللازمة لتنفيذ عزم استخدام الزوهري، الذي كان لا بدّ أن يتمّ في ليلة قمريّة, ومِن حُسن حظّه أن القمر مكتملٌ اليوم. الآن لا توجد أهميّة للعقد الأحمق الذي كان في طريقه إليه.. لا يبقى الآن غير الدم وذبح للأضحية. أحضرَ المقرضي سكينًا حادّة بعدَ أن أوصى خادمَه أن يحضر الخروف الذي سوف يذبَح, ويكتب على جسدِه بدم الفتى الطلسمَ على أن ينفّذ ويقتل الصبي قبلَ أن يأتي الخروف لينجزَ الأمر.

اقتربَ من الصبي وهو يحمل السكين, ولكن وجد دنهش يعترض طريقه:

- أجُننت.. سوف تقضي على كنزٍ كبير لتحقيق أغراضك الحمقاء, سوف آخذ ذلك الفتى معي إلى أرض الجن الآن.

قالها دنهش وعلى وجهه أشدّ أمارات الغضب ممّا كان سيفعله ذلك البشري الأحمق من إهدار لذلك الكنز الثمين.

- دنهش, أنا صاحبُ العزم, وصاحبُ عهد سليمان, وأنا اللّي هحدّد إيه اللّي يحصل.

- ولكنْ مولاي روقيائل أمرني أن أحضر ذلك الفتى الآن, وأعطاني الإذن أن أقتل أيّ حدّ يقف في طريقي, وهذا ما كنت أريدك أن تفعله, أن تقف في طريقي.

أنهى دنهش كلامه بنظرة انتصارٍ وفرحة أنه سوفَ يقتل ذلك المدّعي الأحمق الآن, ولن يقف العهدُ في طريقه.

صُدم المقرضي ممّا سمع من أمرِ الملك, فكيف أنهى خدمتَه بتلك السهولة! هل ذلك الصبيّ مهمّ حقًّا كما يظن؟! وماذا عن دنهش الذي ينوي قتله بالفعل! لا بدّ من القيام بتقوس واستحضار خدمته, وطلاسم الحماية التي كان ميعادُ تجديدها الليلة؛ فكلّ ليلة قمريّة يجب تجديد طلسم الحماية, وهو الآن في أضعف حالاته.. ولكن, لن يترك دنهش يأخذ الصبي بتلك السّهولة.

****

دخلَ الشيخ حسن إلى مركز الشرطة الذي يقع على أطراف المدينة لكي يقوم بالإبلاغ عن ذلك الدجّال, فهو يعلم أن رجال الشرطة يريدون القبضَ عليه منذ زمن, ولكن لا يوجد أحدٌ من سكّان المدينة لديه من العقل والقوّة كي يشهد عليه بأيّ شيء, بالإضافة إلى أنّه لا توجد أيّ أدلّة ضدّه.

اتّجه الشيخ حسن إلى ضابط النّبطشية:

- السلام عليكم يا باشا, أرجوك الْحقني..

ردّ الضّابط بملل؛ فهو كان معتادًا مثل تلك البلاغات التي تأتي في ذلك الوقت من الليل.. فهي لن تكون أكثرَ من مشاجرة بين الجيران أو ابنه هارب, أو أيّ من ذلك, لينتهي الأمر بمحضر صلحٍ في آخره.

- خير حضرتك! وإيه البلاغ اللّي جاي تقدّمه؟

- أنا جاي أقدّم بلاغ عن الدّجال اللّي اسمه المقرضي.

انتفضَ الضّابط من مكانه بعد أن سمع اسم المقرضي يُردّد في القسم, وهو لم يشهد حدوثَ ذلك من قبل؛ فهذه أوّل مرّة يأتي أحدٌ للبلاغ عنه، ليكمل الحاج حسن كلامَه مهملًا ردَّ فعل الضّابط..

- خطف ابني يا باشا, خطفه وعايز يموّته, أرجوك يا باشا تلحقُه قبل ما يعمل حاجة في الواد.

- أنتَ متأكّد يا راجل انتَ من الكلام ده؟!

- طبعًا سعادتك, أرجوك يا باشا الْحقني.

- استنّى هنا وانا جايلك فورًا.

ذهبَ الضّابط إلى رئيس المباحث العميد عصام السيد, المشهور بعصام النّمر؛ لقوّة جسمه, ليخبرَه بذلك الأمر الخطير, فأخيرًا سوف يقبض على المقرضي. دخل إليه بعد أن استأذن منه العسكري..

- مساء الخير يا باشا, في حاجة مهمّة قوي سعادتك.

- خير يا حسام! إيه اللّي مدخّلك في الوقت ده؟ أنا كنت هنام خلاص.

ردّ رئيس المباحث بشيء من الحنق والغضب على ذلك المتطفّل الذي قطع نومه..

- أنا آسف سعادتك, بسّ في راجل برّه جاي ببلاغ ضدّ المقرضي الدجّال.

انتبه عصام بكلّ جوارحه إلى حسام, فكم كان ينتظرُ هذه اللّحظة بفارغ الصبر للقضاء على ذلك النصاب.

- هوّ فين الراجل ده بالظّبط, جاي يبلّغ عن إيه؟!

- الراجل برّه يا افندم, واتّهمه إنّه خطف ابنه وهيقتله!

- إيه!

انتفضَ عصام النمر من مكانه, وحرّك جسمه الضّخم من على الأريكة ليخرج إلى ذلك الرجل..

- بلّغ القوات بسرعة تستعدّ يا حسام, إحنا لازم نجيب الحيوان ده هنا الليلة, أنت سامع؟ دي فرصتنا يا حسام.

****

ذهلتْ أمّ سعديّة من منظر جارتها التي أتت إليها لتستغيثَ بها ممّا حدث، فبمجرّد أنا فتحت أمّ سعديّة الباب وجدتها تبكي بحُرقة, وعلى وجْهها علاماتُ الفزع والرّعب, فهي لم تعهدْ على جارتها سنيّة مثل ذلك الأمر, لتقوم بإدخالها إلى الدّاخل وهي تسألها:

- طمّنيني يا سنيّة, ما لك؟ فيكِ إيه؟

قالتها أمّ سعديّة بمجرّد جلوس جارتها سنيّة على الأريكة, لتردّ عليها جارتها, ومازال في صوتها حشرجةُ الدموع:

- ابني. الواد الحيلة خدُه الشّيخ المقرضي عشان يعالجه, وجوزي عرفْ وحلف إنّه هيبلّغ البوليس ويهدّ البيت عليّا.

- يا نهار اسوح! هوّ جوزك ده اتجنّن! واللّا عايز يجيبلكم الكافيَه, هوّ مش عارف مين المقرضي واللّا إيه! ده هيودّيكم في داهية.

- شوري عليّا اعملْ إيه؟!

- وانا ما لي يا ستّي, خلّيني برّه الموضوع ده, أنا مش قدّ مولانا المقرضي, واللّا اقولّك انتِ لازم تشتري نفسِك انتِ وابنك.

نظرت إليها سنيّة مُستفسرة منها لعلّ لديها الحلّ حقًّا..

- يعني أعمل إيه؟

- أنتِ تروحي لبيت المقرضي وتحذّريه من اللّي هيحصل.

****

- دنهش, أنتَ متعرفش أنا اقدر اعملْ إيه!

قالها المقرضي في محاولة منه أن يبدو قويًّا بعد أن بدَا عليه الضّعف, وقد شعر أنّه لا يوجد فرصة له أمام دنهش بعدَ أن قضى على جميع خدمِه من الجنّ في معركة صغيرة لم تتجاوز نصفَ ساعةٍ استطاعَ من خلالها أن يقضي على عشيرة كاملة من الجنّ بدون أن يظهر عليه التعب, أو حتّى يحدُث له ولو خدشٌ واحد من المعركة.

ابتسمَ دنهش بعد أن استمتعَ بإذلال ذلك البشري الذي ظنّ أنّه سوف يقدر على جنّي قويّ مثله, وقال:

- أنتَ أحمق بكثير ممّا كنت أتصوّر, فأنا كنت أحتقرك, وعلى الرّغم من ذلك كنتُ أشعر بقليل مِن ذكائك, ولكنْ قد ظهر أمامي العكسُ تمامًا... فأنتَ لا تقلّ حماقة عن بني جنسك, وحانَ وقت موتِك الآن.

قالها واقتربَ بسرعةٍ خاطفة من المقرضي الذي على أثرها سقطَ من الصدمة, ومن سرعة تحرّك ذلك الجنّي. حاول المقرضي استجماعَ ما تبقّى من قوّته, وقال:

- دنهش, أنا لسّه منتهتش.. ولو انتهت كلّ قوتي, يمكن تكون قضيت على خدمي كلّهم, بسّ لسّه عندي حاجة أقدر أدمّرك بيها.

ضحكَ دنهش بصوت قوي, وعالٍ ارتجّ على أثرِه المكان, مستهزئًا من ذلك الأحمق الذي مازال متعرجفًا, ويظنّ أنّه الأقوى هنا. وقال بنبرة استهزاء:

- وما هي تلك القوّة أيّها الأحمق؟!

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض.....) قطعَ قراءته للقرآن ضحكةُ دنهش التي كانت صادمة بالنسبة له, فهو يعلم أن مهما كانت قوّة الجنّي فهو يقع تحتَ حُكم الله, ويعلم جيدًا مقدارَ تلك الآية من قوّة وسلطان على الجنّ جميعًا.

- أنتَ حقًّا أحمقٌ كبير يا مقرضي, أتعلم أن كان أحدٌ غيرك قالَ هذه الآيات كان من الممكن أن أتأذّى فعلًا, ولكن الآن انتَ قد خرجت من

رحمة ربّك, وقد كفرت قبل ذلك حتّى تستطيع أن تقوم بتحضيري, أمْ نسيت إنّك سجدت ليه ليتمّ العقد!

فالآن, وقد عصيت من قبل...

أنهى كلمتَه وقبضَ على رقبة المقرضي الذي بالَ على نفسه كطفلٍ صغير, فقد علم أن نهايته قدِ اقتربت, وأنّ عقاب الله سوف يكونَ أشدّ بكثيرٍ من عقاب ذلك الجنيّ.

أغلقَ عينه وهو يتمنّى العودة للحياة مرّة أخرى حتّى يغيّر الكثير من قراراته, لعلّ نهايته تكون مختلفة عنِ الآن, فكان آخر مشهدٍ هو رفع دنهش يديْه لينهال على رقبة المقرضي للقضاء عليه, ولكن لسببٍ ما تأخّرت يدُ دنهش في الوصول إليه ممّا أثار استغرابَ المقرضي ليقوم بفتح عينيه وهو يتمنّى أن يكون قد جاء العفو له من رقيائيل.. ولكنْ ما رآه كان مختلفًا تمامًا عمّا توقّعه؛ الصّبي الصغير الذي كان حاضرًا هو مَن أمسك بيدِ دنهش ليمنعه من قتله.. ولكن, كيف استطاع أن يمسك يدَه؟ بل كيف استطاعَ أن يوقفَ قوّة دنهش؟!

****

خرجت أمُّ الصّبي وهي خائفة, متّجهة لبيت الشيخ المقرضي لتخبرَه ما حدثَ من زوجها, ولتحذّره من البوليس, ظانّة أنّها سوف تحمي ابنَها وزوجها من غضبه.

حينما اقتربت من المنزل شعرتْ بشيء غريب يأتي من ناحية البيت, شيء مُرعب سارَ في جسدها, قشعريرة لا تدري سببها, وكان البيت قد أصبح مركزًا لقوًى غريبة بالداخل.

قرّرت أن تقترب من النافذة لتنظر منها.. ولكن ما رأته ألجمَ لسانها رعبًا..

فقد كان ابنُها يقفُ وأمامه الشيخ المقرضي وهو مرتفعٌ في السماء, وعلى وجهه أمارات الرعب من الصّبي.. كان هذا آخرَ ما رأته قبلَ أن تفقد الوعي.

****

فزعَ الأهالي على صوت سرينة عربات الشرطة التي كانت تنهبُ الطريقَ في سرعة رهيبة وكأنّها في سباقٍ مع الزمن, فكلّ مَن فيها كانوا منتظرين تلك الليلة منذُ زمن ليتم القبض على الدّجال, وكلّ منهم يتمنّى أن يكون دجالًا حقًّا, كما يعتقدون, حتّى لا يحدث لهم ما لا تحمد عقباه.

أمّا الأب, فكان كلّ ما يريده هو أن ينقذ ابنه من ذلك النّصاب المدعو المقرضي, حتّى لو لم تستطعِ الشّرطة ذلك فسوف يقتله فورًا. نظر لرئيس المباحث, همّ أن يطلب منه أن يسرعوا في القيادة, ولكن كأنّه قد قرأ سؤاله فأعطى الأمر على الفور بالإسراع, حتّى وصلوا إلى مشارف بيت المقرضي, وأمرهم على الفور- بمجرّد توقّف السيارات- بإعداد القوات واستعدادها للاقتحام, والقبض على ذلك النصاب.

****

أمّا في الدّاخل, فكان الموقف متجمدًا بين كلّ من دنهش والمقرضي وذلك الطفل الزوهري الغريب.

فقد كان كلّ من دنهش والمقرضي في موقف لا يُحسد عليه؛ فكلّ منهما كان متفاجئًا من ذلك الطّفل الغريب, لم يغيّر صمتهم غيرُ ضحكة الطفل الهادئة التي كانت ذاتَ وقعٍ مثلَ الرّصاصات على المقرضي, وأمّا دنهش فقد كان ينظر إلى ذلك الفتى وهو يتمنّى أن تكون تلك هي النّبوءة.. نبوءة أرض الجن!

- لا تخافوا؛ فكلّ منكم له ميعاد, وكلّ منكم له طريقُه الذي سوف تحدُث معي, ولكلّ طريق نهاية... أمّا أنا, فأنا كاتبُ النهايات.

كانت الكلماتُ تخرج من الطّفل بقوّة لا تتناسب معَ سنذه, أو معَ الموقف, لتنتهي عباراته بإشعالِ النّيران في جميعِ أنحاء المنزل في كلّ مكان. انتشرتِ النّيران بسرعة غيرِ عاديّة, وكانٍ هناك شيء ينقلها من مكان إلى الآخر. نيرانٌ رهيبة وشديدة جعلت كلًّا مِن المقرضي ودنهش في موقفٍ لم يتوقّعه أحدٌ منهما. أخذ المقرضي يفكّر.. كيف وصل الأمر إلى هنا بتلك السّرعة!

****

انتهت قواتُ الشرطة من الإعداد والاستعداد, وعلى الفور طلبتْ من الأهالي الابتعادَ عن ذلك المنزل الذي انتشرتِ النّيران- التي اشتعلت بطريقة غير معهودة- فيه بسرعة غريبة, وغير عادية, فقد كان المنزلُ منذُ دقائق قليلة سليمًا وهادئًا, لا يختلف عن أيّ منزل في القرية, فكيف حدث ذلك!

وعلى الفور أمرَ عصام النّمر بالاتصال بالمطافئ, وبعدَ مدّة ليست بالقصيرة وصلت عربات المطافئ إلى البيت. أمّا الشيخ حسن فقد انْهارَ على الأرض, وظلّ يبكي على ابنه الوحيد, الذي ضاعَ ولم يعلم هل سيجدُه حيًّا بعد كلّ هذا أم يحتسبُه عند الله...

شهيدًا!

******

تركَ الفتى يدَ دنهش بعد أن حاول ذلك الأخير سحبَ يده, ولكن اتّضح أنّه على الرغم من صغرِ سنّ الصبي ولكنْ له قوّة جبّارة.

ابتسم الصبي لهما, ونظرَ إلى المقرضي الذي كان يبكي مثلَ الطّفل الرضيع وقد بال على نفسِه للمرّة الثانية من شدّة الرعب.

- أمّا أنتَ يا مقرضي فلنا لقاء آخر في وقت آخر, أو يمكن اللّقاء مع جثتك, ولكنْ ليس الآن؛ لأنّك سوف تموت الآن.

وبمجرّد أن أنهى جملتَه توقّف قلبُ المقرضي عن النبض!

ومات.

وهو على وجهه أشدّ أمارات الفزع, والألم, وعدم التصديق إلى ما آلت إليه الأمور، التفت الفتى إلى دنهش الذي كان ينظرُ إليه وقد بلغ فضولُه عنانَ السّماء لمعرفة ذلك الصبيو ولم يقرّر الخروجَ من المكان؛ حيث أنه إذا كان يريد الخروج لخرج.. ولكنْ ذلك الصبي لصاحبُ قدرة رهيبة, ويجب أن يعلمها؛ هل هو حقًّا النّبوءةُ التي ينتظرُها عالم الجنّ بأكمله.

ابتسمَ الصبي وهو ينظر إلى دنهش, فقال دنهش له وهو يبتسم:

- يبدو أنّك سوف تصبح ذا شأنٍ عظيم في عالم الجنّ, فالملك رقيائيل يريدُك بنفسه.. يظنّ أنّك النبوءة.. أن أتيتَ معي سوف تمتلك قوّة عظيمة تفوق كلّ التوقّعات.

ابتسمَ الصبي من ذلك العرض المُغري, وتحدّث بهدوءٍ لا يتناسب والموقف, ولا يتناسب حتى مع عمره الصغير!

- لا تقلق, سوف آتي معك, فأنا أريد أن أمتلك كلّ شيء, أريد أن أصبح أقوى مخلوق في العالم, أريد أن أصل إلى المنتهى، وأنتَ مَن سيعلّمني كيف أستخدم قوتي, وكيف أطوّرها.

****

استبشرَ دنهش من ذكاء الصبي وقدرتِه وطريقة تفكيره, وأيضًا ظلّ يمنّي نفسَه بما سوف يعطيه سيدُه رقيائيل من كنوزٍ, وتعظيمِ قدرِه في أراضي الجنّ لما أتى به إليهم من كنزٍ عظيم. اقترب الصبي من دنهش ومدّ يدَه إليه ليمسك بيديه حتّى ينتقلَ معه إلى أرض الجن. استقرّت يدُ الصبي في يد دنهش بهدوء.

وانتقلَ في لمح البصر.. إلى عالم الجن.

****

استمرّ الأمر إلى صباح اليوم التالي حتّى تمّ إخمادُ حريق المنزل, وكأنّه لهيب مُستعر. جلسَ الأبُ جلسة القرفصاء بعدَ فقده الأمل في وجود ابنه, وكلّ ما كان يشغل تفكيرَه حينها هو أن يأخذَ جثمانه حتّى يدفنَه, ولكن حتّى ذلك لم يحصلْ عليه؛ فقد فشل رجالُ الشرطة في العثورِ على أيّ جثمان لأيّ طفل, ولكن ما وجدوه هو ثلاثُ جثث فقط لرجلين وامرأة, وبعدَ مطابقة جثّة المرأة التي كانت ملقاة بجوار المنزل وقد أكلتها النيران وجدوها لزوجته, أمّا الآخرين فكان أحدهم قد توفّي بسكتة قلبيّة قبل أن تحرقه النار- وهو المقرضي-, والآخر توفّي من آثار الدخان بعد أن فشل في الخروج من المنزل والتهمته النار, واتّضح أنّه الخادم. وقرّرت الحكومة- بعد امتناع جميع سكان البلد عن

استلام الجثة الخاصة بالمقرضي- أنّه سوف يتمّ دفنُه في مقابر الصدقة التي تقع في آخر البلدة.

******

خرج الشيخ حسن من قسم الشرطة وهو صامت, لا يتحدّث مع أحد, ولا يأخذ عزاء فقيديْه؛ لا امرأته ولا ابنه, حتّى ظنّ الجميع أنّه أصابه لوثة, ولكن كلّ ذلك لا يهمّ, فما هي إلّا أيامٌ قليلة حتّى وجدوه هوَ الآخر ميتًا في منزله, وعلى وجهه أبشع علامات الرعب...

هل قتل؟!

لا أحد يعلم.

****

الوقت: الحاضر

سنة: 2019

خرجَ ياسين وائل من سكنِ الطلاب الذي كان يسكن به هو وصديقه أحمد سمير, فبمجرد قبولهما في كلية الهندسة جامعة عين شمس وهمَا فضّلَا البقاء في المدينة الجامعية حتّى انتهاء الدراسة ثمّ العودة إلى بلدهما السلوم.

في بدية الأمر, كان صعبًا على أبناء القرى أن يتأقلموا مع المدينة الجامعية, ومع القاهرة بكلّ ما فيها من طبيعة الحياة المدنية, وأشياء لم تخطرْ على بالهما بوجودهما في قاهرة المعزّ, فلكمْ حذّرهما أهالي القرية وهمَا في السلوم أن يتجنّبَا مفاتن القاهرة, وما سوف يريانه من عجائبِ وغرائب تلك المدينة, أمّا أغرب ما فيها بالنّسبة للاثنين كان جارَهم في الغرفة المجاورةح المدعو يوسف حسن, ذلك الفتى أسمر الملامح ضعيف البنيان, يميّز عينه ذلك الحَوَل الخفيف في عينه, ولكن أكثر ما كان غريبًا بها هو تلك النّظرة اللامعة في عينيه, وتلك التصرّفات الغريبة التي يقوم بها؛ فهو منعزلٌ تمامًا عنْ جميع أصدقائه وأقرانه في مثل سنّه, فعلى الرغم من أنّهم في العام الثالث الآن من دراستهم في كلية الهندسة إلّا أنّه لا يملك أيّ أصدقاء إطلاقًا, حتّى همَا على الرغم أنّه زميلهم في الجامعة, وفي نفس العمر الدراسي, وقادمان من نفس القرية تقريبًا, إلّا أنهما لم يقابلاه خارج المدينة الجامعيةو أو في أيّ من المراكز, أو حتّى في المحاضرات أو أيّ من ذلك! وعلى الرغم من ذلك فقد كان من المتفوّقين في الجامعة, وكان أحمد سمير دائمًا مقتنعًا أن ذلك الفتى غيرُ طبيعي, أو كما يقول عليه دائمًا (ملبوس)؛ فهو- وعلى الرّغم من مستواه التعليمي- كان يؤمن بشدّة بتلك الأمور, على عكس ياسين الذي كان لا يؤمن إلّا بالعلم الذي كان يدرسه.

ارتفع رنينُ الهاتف المحمول لياسين ليجد اسمَ صديقه وزميله في السكن أحمد سمير ليبتسم ابتسامة خفيفة قبل أن يردّ:

- آلووو.. إيه يا ميرو!

- إيه يا يسووووو! فينك يا معلم؟ أنا بقالي ساعة مستنّي أهلك على البوابة بتاعة الجامعة!

- خلاص يا عمّ, متقرفنيش, أنا جاي أهو, فاضلّي خمس دقائق.

- آهاا.. خمس دقائق وجوّ أنا بربط الكاوتش ده ميمشّيش معايا يا عمّ الحجّ, أنتَ فاهم, انْجِز.

- يا عمّ والله أبدًا, وبعدين إحنا مين الدكتور اللّي علينا أوّل محاضرة؟

- يا عمّ دكتور أيمن حماقي, انْجِز بقى.

- يا دي النّيلة! هيّ ناقصة قرف؟ يا عمذنا دي بتبقى محاضرة زفت.

- بسّ كائن الآيس كريم بيبقى حاضر في المحاضرة, يعني كله يهون.

ابتسم ياسين حينما تذكر جنونَ صديقه بتلك الفتاة التي لا يعرف حتّى اسمها ويحضر من أجلِها جميعَ المحاضرات, وكانت سببًا في تمدّنه.

- طيّب يا خويا خلّي الآيس كريم ينفعك.

- طب اخْلص بقى, أنت فين؟!

- أنا وراك أهو يا اهْبل.

التفتَ أحمد ليجد صديقه خلفه لينظر له نظرةَ عتابٍ ثمّ يبتسم.. ليضمّ بعضهما البعض بحركة طفوليّة اعتادوا عليها منذُ الصّغر، ودخلوا إلى الجامعة سويًّا ليلحقَا بالمحاضرة قبل أن يستوقفه ياسين..

- بقولّك إيه.. أنا مش طايق المحاضرة, مبلاش.

- إيه! بلاش.. وكائن الآيس كريم؟ أسيبها!

- يا عمّ اتنيّل بقى, أنتَ متعرفش اسمها أصلًا, ولا هيّ تعرف إنّك عايش على الأرض من أساسه, فوق يا اهْبل.

- بقى كده, يا ابو الصّحاب أنتَ بتحرجني.

قطعَ كلامهما وصول صديقهما الثالث محمود خليفة, الذي كان الأوسمَ بينهم, وأكثرهم علاقات وصداقة بالبنات. وضعَ خليفة يده على كتفِ ياسين بمجرّد وصوله وقال:

- إيه يا شباب الكلام على إيه؟!

- إيه يا حوده, عامل إيه؟

- بخير يا ياسو, أنت عامل إيه يا صاحبي؟

- بخير.

نظرَ خليفة إلى سمير ليرحّب به:

- إيه يا سمير, عامل إيه؟

- حبيبي يا حوده, يلّا نخشّ المحاضرة.

- يا ابني اتنيّل, أنا لسّه داخل من البوابة, إيه الفال الزفت ده, واللّا عشان آهاا.. البطة بتاعتك صحّ, بسّ الصّراحة ذوقك حلو.

- شايف الناس! عيّل بيفهم.. بسّ متقولش عليها بطّة عشان باغير.

- هتعيش وتموت عبيط يلا يا سمير.

ليضحك الثلاثة على ما قاله خليفة، ليقطع الضّحك عنهم دخولُ يوسف حسن من باب الجامعة, فكانت تلك المرّة الأولى التي يأتي فيها إلى الجامعة في هذا العام الدراسي, وحين يأتي يجلس بمفرده..

_إيه ده! الفامبير خرج من بيته!

قالها أحمد سمير بسخرية, وبصوت منخفض حتّى لا ينتبه يوسف إلى ما قاله.. قبل أن يركله ياسين في قدمه بهدوء حتّى يتوقف عن تلك الحماقة, فأكثر شيء كان يكرهه هو أن يحدث تنمّر على أيّ أحد أمامه.

- طب إيه يا جدعان! ده داخل المحاضرة, أنا من رأيي ندخل وراه ونشوف فيه إيه, الواد ده أنا من كُتر كلامكم عليه أنا متحمّس اعْرف حكايته إيه.

كان هذا محمود خليفة الذي بمجرّد أن قالها اتّجه على الفور إلى الداخل حتّى يقطع عليهم أيّ فرصة في النقاش حولَ الأمر ليتبعه كلّ من سمير وياسين إلى الداخل.

****

في داخل المدرج الجامعي كان جميعُ الطلاب في حالة من الهرج والمرج؛ فمنهم مَن كان يمزح مع صديقه, ومنهم مَن يحاول أن يثير

إعجابَ أكبر قدرٍ مُمكن من الفتيات؛ حيث لدى الجميع اعتقادٌ راسخ أن الفترة الجامعية تعتبر موسمَ التّزاوج للذكر البشري, أو موسم (العط) بمعنى أدقّ، فهي أفضل فترة ليجد فيها الشخص شريكَ حياته؛ لذلك تجد مَن يخرج من الفترة الجامعية بينما لم يسبقْ له الارتباط فإذا به يصبح شخصًا مريبًا, أو خام كما يسمّيه الناس، أمّا الفتيات يصبحْنَ عانسات بالطّبع؛ لذلك تجد الجميع يختار أفضل الملابس، وجميعهم يحاولون أن يكونوا أفضل الأشخاص حتّى يحصلَ على إعجاب الجنس الآخر؛ كم هم حمقى!

ولكنْ كلّ هذا كان لا يتماشى مع يوسف حسن حيث كان دائمًا يفضّل أن يجلس بمفرده لا يتحدّث إلى أحد, ولا يحاول إعجابَ أيّ أحد, وأيضًا جميعُ أصدقائه أو قرنائه يتجنّبوه, وكأنّه مرض, أو شيء مُرعب يجب الحذرُ منه.

دخلَ الثلاثي المرح- كما أطلق خليفة عليهم- ليجلسوا خلفَ يوسف حسن ليشاهدوا عرضًا من برنامج "غرائب وعجائب", وبطل الحلقة... هو يوسف بالطبع. ولكن لم يكن غريبًا إلى ذلك الحدّ, فمن الممكن أن يكونوا قد تحاملوا عليه؛ حيث يبدو شخصًا طبيعيًّا، كان هذا شعورهم غير المبرر, والمتنافي تمامًا لما كانَا عليه منذُ قليل حينما جلسوا خلفَ ذلك الفتى, ويبدو أن جميعَهم اتّفقوا على ذلك الشعور, ممّا شجع خليفة على أن يبدأ الحديث مع يوسف بطريقة غريبة وغير مبرّرة, وكأنّهم أصدقاء منذ الصغر!

- إيه يا معلم.. أنتَ ليه على طول قاعد لوحدك كده؟!

التفتَ يوسف إليهم وهو يبتسمُ في حياء مختلف عنْ طبيعته كرجل:

- لا عادي, بسّ.. بسّ.. معرفش حدّ اقعد معاه.

ليشارك ياسين خليفة الكلام بعدَ أن شعرَ بالأسى اتّجاه يوسف:

- يا باشا, ولا يهمّك, إحنا معاك آهو يا صاحبي, ونتعرّف, أحب أقدّملك الشلّة اللطيفة, أو الخنيقة أيّهما أقرب؛ أنا ياسين وائل, والبرنس ده أحمد سمير, والأخ ده محمود خليفة, عبيط زيّ ما انتَ شايف, بسّ البنات بتموت عليه مش عارف ليه!

ليضحكوا جميعًا, ويتشاركوا الحديث باستثناء سمير الذي كان حتّى الآن لا يجد مبررًا لدخول ذلك الأحمق إلى شلتهم، ليتوقّفوا جميعًا عن الضّحك على إثر دخول هالة إلى المدرج, وهي هالة حقًّا.. هالة تجعل كلّ مَن تقترب منها يقع في شباك سحْرها وعطرها الأخّاذ, كأنها حوريّة من حوريات الجنة أنزلها الله حتّى تكون آية للمؤمنين حتّى يُحسنوا أعمالهم، كانت تستحق حقًّا لقبَ حورية عن جدارة... قصيرة القامة, ذات جسد رياضيّ مُتناسق, ومتفجّر الأنوثة في نفس الوقت, فإن كان للأنوثة أن تتجسد.. فهي هالة ذات الشّعر كستنائي اللّون, الطويل, بيضاء البشرة مثل الحليب, يغلّف كلّ هذا عينان زرقاوان, ويكمل جمالها طابعٌ من الغرور كانت مشهورة به. وكم من فتاة جميلة ومغرورة بواقع الأمر.. يبدو أنّه قانونٌ مثل قوانين الجاذبية, فكلّ ما ازْداد الجمالُ ازداد الغرور, وكأنّ وجود الغرور في الجميلات مثل احتياج الكائن الحيّ إلى الماء.

يقطع ذلك الصمتَ سمير وهو يتحدّث بكلّ لوعة وشوق, وعينُه تتفحّص هالة بكلّ بجاحة:

- يا دين النّبي يا جدعان! أقسم بالله اقوم احْضنها دلوقت, واللّي يحصل يحصل!

ليردّ عليه خليفة في شيء من التشفّي:

- قوم يا اسطى بالله عليك اعملها, هيبقى شكلك حلو قوي, وبتوع الأمن جرّينك لمكتب العميد, قوم خلّينا نضحك شوية.

ليضحك على أثر ذلك يوسف وياسين ليقطع يوسف حديثهم موجّهًا الحديث إلى سمير بعد أن تشجّع, وشعر أنّه واحد منهم:

- هوّ انتَ يا سمير مُعجب بيها للدرجة دي؟

ليردّ عليه سمير في اقتضاب:

- آه يا عمّ مُعجب بيها, يخصّك في حاجة!

ليزجره ياسين في قدمه لينبّهه على طريقته الوقحة في الحديث مع يوسف، ليردّ عليه يوسف بعد أن شعر أنّه تدخّل في أمر لا يخصّه:

- لا مفيش حاجة.. أنا بسّ كنت هعرّفك عليها.

نظر إليه ثلاثتهم نظرةً غير مصدّقة قبل أن يقاطعهم خليفة:

- هوّ انت تعرف كائن الآيس كريم وقاعد معانا عادي كده! وبعدين تعرفه منين؟

ليردّ عليه يوسف بطريقةٍ تحمل القليل من التفاخر:

- أعرفها جدًّا كمان, ماهو أنا كنت بذاكر لها السّنتين اللّي فاتوا بما إنّي دحّيح يعني, وكده.

ليردّ عليه سمير وكأنّه أراد إحراجه غير مصدّق أن حورية مثلها سوف تتحدّث مع هذا الأحمق غريب الأطوار.

- أنت كذّاب يلا. طب لو تعرفها فعلًا قوم روح سلّم عليها دلوقت حالًا.

ليرتبكَ يوسف قليلًا, فهو ليس من عادته أن يبادرَ الحديث مع أحدٍ خوفًا من الإحراج، ليقول في محاولةٍ منه للتملّص من الفكرة:

- هيّ مش فكرة إنّي أروح أسلّم عليها, هو عادي أنا ممكن أروح.. بسّ المشكلة إنّي مش هعرف أدخل أكلّمها وهي واقفة مع صاحبتها.

- ليه يا نوغّة بتتكسفي يا بيضه!!

كانت تلك الأخيرة من سمير, والذي صمم على إحراج يوسف ليقول خليفة بعد أن شعر أنّه مُتحامل على يوسف بشدّة, وفي محاولة لإنقاذ الموقف:

- متخفّ ع الواد شويّة يا عم انتَ! طب متَقوم انتَ يا دكر وروح كلّمها.

ليردّ عليه يوسف متجاهلًا ما قاله خليفة منذُ قليل:

- هيّ المشكلة إنّي مبعرفش اختلط بالناس, كمان صحابه هيضحكوا عليه لمّا يشوفوا منظري, وشكل عينيه, وكده, وانا محبّش حدّ يتريّق عليه.

ليصمتَ جميعهم بعدَ ذلك الردّ, وخصوصًا سمير الذي شعرَ بالحرج الشديد ممّا فعله منذُ قليل، إلى أن كسرَ ذلك الحرج هالة وهي تقترب إليهم, وتشير بيدِها ليوسف لتسلّم عليه.

وقف يوسف على أثر ذلك, وذهب إليه تاركًا رفقاءه يموجون في حالة من عدم التصديق, فحتّى ياسين وخليفة لم يصدّقَا ذلك الفتى فيما

قال, بالرّغم من دفاعهم عنه, ولكن ها هو ذا يتحدّث مع هالة التي تضحك على أثر كلّ كلمة يقوله إليها, وكأنّه أصبح فتى جذّابًا أو وسيمًا وسرق قلبَ تلك الحورية.

قاطع دهشتهم تلك سمير وهو يقول:

- البتّ دي أكيد هبلة, أو عليها نَذْر عشان تتكلم مع الأهطل ده!

ليتشاركوا جميعًا الضّحك المكتوم على ما قاله، ليقطعَ عليهم الأمر دخولُ الدكتور إلى المحاضرة ليجلس كلّ من الطلاب في مكانه في هدوء, أمّا يوسف فقد جلس إلى جوار هالة التي لم يكنْ من المعتاد أن يراها أحدٌ تجلس بجوار شخص ما.

مرّ بقيّة اليوم كأيّ يوم عادي, لم يحدث أيّ حدث ذي قيمة غير ما حدثَ مع هالة, الذي كان صاحبُ النّصيب الأكبر من حديث الفتيان على ذلك الفتى المحظوظ أو الملبوس, كما قال سمير, فهو لم يرد أن يقتنع أن ذلك الفتى من المُمكن أن يكونَ أفضلَ منه في أيّ شيء حتّى يجعل هالة تتحدّث معه وتجلس بجواره, فهو بكلّ تأكيد ساحر؛ وساحر خبير أيضًا استطاع أن يجعلها تحتَ سيطرته, وعلى الرّغم من أخذ خليفة وياسين الفكرة ببساطة إلّا أنّه استمر في إصرارِه على ذلك الأمر, فهو مؤمن بشدّة أن الأمر لم يكن طبيعيًّا, وأنّ ذاك الفتى حقًّا غير طبيعي, وكلّ هذا بالطبع راجع إلى ثقافة قريته في السلوم التي يوجد بها إيمان تامّ بمثل تلك الأمور. وعلى النّقيض كان ياسين, حيث لم يكن يؤمنُ بتلك الأمور مطلقًا ويراها خزعبلات, وهو ما كان يوقعُه في صدامٍ وصراع مع سمير بخصوص هذا الأمر. وعلى الرّغم من أنّهما كانَا من نفس القرية, وأيضًا كان يوجد الكثير من أمور السحر حول نشأة ياسين, ولكن هو لم يؤمن قطّ بذلك الأمر.

وصل الاثنان إلى السكن بعد أن ودّعَا صديقهما الثّالث خليفة كعادتهم, ولكن قبل أن يدخلَا استوقفَ سمير ياسين بحجّة الاطمئنان على يوسف, وهو ما استغربه ياسين بشدّة, وبالطبع رفضَ الفكرة, وحاول أن ينهي سمير عن الذّهاب إلى غرفة يوسف حيث كان يعلم نيّته حول الذهاب, والتي كانت بعيدة تمامًا عن الاطمئنان.

تركَه سمير واتّجه إلى غرفة يوسف, وطرق الباب الذي اكتشف أنّه غيرُ مغلَق تمامًا, ويبدو أنّه لا يوجد أحدٌ بالداخل؛ حيث لم يكن هناك أيّ حركة أو صوت بالدّاخل. سوّلت لسمير نفسه دخولَ الغرفة لعلّه يجد شيئًا في داخلها يفيده, أو شيئًا يُثبت أن يوسف ساحر, أو يمنّي نفسه أن يجدَ شيئًا يجعله هو أيضًا ساحر, ويجعل هالة تعجبُ به هو أيضًا.

دخلَ سمير الغرفة التي كانت لا تختلف كثيرًا عنْ بقيّة غرف السكن المكوّنة من سرير متهالك أكلَ عليه الزمنُ وشرب, ودولاب للملابس مثل الذي يتواجد في حجرته, معَ تليفزيون صغير بطريقة عجيبة؛ حيث لا تستطيع أن ترى ما يُعرض بوضوح, وتلك كان من مميزات السكن؛ ذلك التلفاز- كما يظنّ القائمون على المكان-.. أمّا الحوائط فكان أغلبُها متآكلًا بشدّة, وتبدو عليها آثارُ الرّطوبة الشّديدة, على عكس ما كان يوجد في غرفتِه هو وصديقه, يبدو أن غرفتهم هي جناحُ فندق مقارنةً بتلك الغرفة، لم تختلفْ بقيّة مكوّنات الغرفة عن بقيّة الغرف من مكتب, وكثيرٍ من كتب الهندسة والمراجع الأخرى, حيث يبدو أن ذلك الفتى يقضي أغلب وقتِه في القراءة حيث كان يملك مجموعة ضخمة من الكتب في جميع المجالات الأخرى غير الهندسة, فهناكَ في مجال الطب والتشريح والفلك والرياضيات والكثير من الأشياء الأخرى, والكتب المعروفة وغير المعروفة، بدَا لسمير أن الغرفة ليست بتلك الغرابة؛ فهي غرفة لطالبٍ يعيش بمفرده, غرفة لشابّ منعزل بمعنى أدقّ، فقررّ على إثرِ ذلك مغادرةَ

الغرفة وتركها قبلَ أن يعود ذلك الأحمقُ الذي بكلّ تأكيدٍ لن تمرّ فكرة دخول أحدهما إلى غرفته مرورَ الكرام, على الرغم أنّه كان يريد أن يزعجَه قليلًاو ولكن لا يوجد أيّ شيء ذي قيمة بداخل الغرفة.

التفتَ سمير واتّجه إلى الباب قبل أن يصدم مجموعة من الكتب المتراصّة, والتي على أثر ذلك سقطتْ على الأرض بجوار الكتب مُخْلفةً فوضى عارمة في المكان. الآن يوسف سوف يعلم أن أحدهم دخل إلى غرفته, قرّر سمير المغادرة فورًا, ولكنْ قبل خروجه استوقفه كتابٌ من الكتب المنتشرة على الأرض, ذو اسمٍ غريب, وشكل أغرب؛ كتاب (أنوار البيان في الجلبِ والإتيان)! لم يسمع سمير عن كتابٍ بذلك الاسم من قبل, وإن كان ليس له باع في مجال القراءة والكتب, أمّا عن شكل الكتاب فكان كتابًا قديمًا, ذا ملمسٍ جلديّ يشبه ملمس جلد البشر, ممّا انتاب سمير على آثار لمسِه القشعريرة, وكأنّه جلد بشر. انتبه سمير إلى وجود صوتٍ في الممرّ الخارجي فأسرع في الخروج, وجدَ نفسَه يأخذ ذلك الكتاب الغريب بدون أيّ سبب, هل من أجل أن يخبرَ ياسين أن ذلك الفتى حقًّا دجّال كما كان يظنّ, ولكي يدعم وجهة نظره بذلك الكتاب, أم كان في نفسه أمر آخر!؟

وجدَ ياسين سمير يدخل الغرفة وهو مرتبك, وعلى وجهه ملامح القلق والتوتر..

- إيه يا عمّ سمير, الواد أحرجك واللّا إيه؟!

لم يتلقّ ردًّا من سمير, ممّا أكّد له أن هناك أمرًا ما حدث. اقترب من صديقه ليلحظَ ذلك الكتاب الغريب الذي فشلَ سمير في إخفائه خلف ظهره..

- سمير, أنتَ كويس؟ ما لك! في إيه؟!

- هاا, لا. لا.. مفيش حاجة, تعبان بسّ شويّة, وعايز أنام.

جاء الردّ من سمير وكأنّه كان في عالم آخرو ولم يلحظ وجودَ ياسين إلّا الآن.

- سمير, إيه الكتاب ده؟

نظرَ سمير إلى الكتاب الذي في يده قبلَ أن يُخفيه خلف ظهره:

- ده! ولا حاجة, ده أجندتُه عجبني شكلها بسّ فاشتريته, وكانت في شنطتي فتلاقيك مختش بالك منها.. بقولّك إيه.. طفّي النور عشان عايز أنام.

أنهى سمير الحديثَ بتوجّهه إلى الداخل ليبدل ملابسه للاستعداد للنوم, واستغلّ لحظة انشغال ياسين وأخفى الكتاب بداخل الدولاب بين ملابسه حتّى لا تمتدّ إليه يدُ ياسين, وذهب لينام وهو يفكّر في ماذا يوجد في هذا الكتاب؟ وما ذلك الأمر الذي جعله منجذبًا بشدّة إليه؟ ولماذا من الأساس أخفاه عن ياسين أن كان يريد أن يثبتَ أن يوسف ساحر ودجّال فلماذا أخفى الكتاب؟!

******

استيقظ كلّ منهما في صباح اليوم التالي للذهاب للجامعة كعادتهم, حتّى سمير كان يتصرف بطبيعيّة, وكأنّه نسي موضوع الكتاب, وكلّ شيء. خرجَا بعدَ استعدادهما من الغرف ليجدَا يوسف في انتظارهما بالخارج, وعلى وجهه ابتسامٌ مرحّبة. استغرب كلّ منهما منها فهو مُنغلق ومُنعزل على نفسه, وليسه من عاداته أن ينتظرهمَ للذّهاب للجامعة, ولكن قلق سمير كان مختلفًا عن ياسين تمامًا, فقد شعر مِن تصرف يوسف غير المُعتاد أنّه يعلم عن اختفاء كتاب منْ غرفته,

ولكن كيف عرف أن هو مَن أخذ ذلك الكتاب! ليقطع حيرتهما يوسف بقوله:

- أنا قلت أعدّي عليكم عشان نروح سوا الجامعة بما إنّنا بقينا صحاب, صحّ واللّا إيه؟!

ليردّ عليه ياسين بترحيب:

- أكيد يا معلم بقينا صحاب, يلّا بينا بقى يا رجالة عشان خليفة بقالُه ساعة في الشارع.

ليقطع عليهم سمير بقوله الغريب:

- لا, أنا مش هروح.

استغربَ ياسين من تغيّر رأي سمير المفاجئ فمنذُ قليل كان سيذهب معهم إلى الجامعة.. لماذا غيّر رأيه بتلك الطريقة ليقول:

- ليه يا سمير؟ إحنا مش كنّا لسّه هنروح سوا؟

_خلاص سيبُه براحته يا ياسين, ويلّا بينا نروح عشان نلحق خليفة بالمرّة.

كان هذا من يوسف, الذي بمجرّد أن أنهى حديثَه اتّجه إلى سلم السكن للاستعداد للذهاب, فلحقه ياسين إلى السّلم بعد أن اتّفق مع سمير على أنّهما سوف يتحدّثان في الأمر المريب حينَ عودته من الجامعة.

****

تقابل كلّ من ياسين ويوسف بخليفة على بوّابة الجامعة كما اتّفقا مُسبقًا لدخول المحاضرة.

استغربَ خليفة من عدم حضور سمير إلى الجامعة, فاستفسر من ياسين الذي أخبره أنّه ليس على ما يرام.

- إيه يا شباب.. تيجوا ناكل الأوّل قبل المحاضرة, واللّا تدخلوا على طول, واللّا إيه؟

كان هذا من يوسف الذي قطع حديثهم الخاص ليردّ عليه ياسين:

- أه.. يلّا ناكل عشان الواحد فعلًا ميّت من الجوع, وعلى آخره.

اتّجه كلّ منهم إلى مطعم خارج الجامعة, وأثناء الأكل لاحظَ كلّ منهم الْتِمام القطط على يوسف ليطعمَهم, وهذا كان أمرًا طبيعيًّا من وجود القطط حولَ أيّ مكان أكل.. ولكن, هذا العدد كان أكبر بكثير من المعتاد, أمّا يوسف فلم يكن يشعرُ بسوء؛ بل وأحضر لهم طعامًا مخصوصًا وكأنّهم أصدقاء.. أو... عائلته!

- إيه يا عمّ الحجّ القطط دي كلها! واشمعنا يعني سايبين الناس كلّها وجايّين عندك انت, أنت كنت قطّة وانتَ صغير واللّا إيه!

كانت تلك الدّعابة من خليفة الذي استغرب من اهتمام يوسف الشّديد بتلك القطط, الأمر الذي شعرَ يوسف معه بالحرج والغضب غير المبرّر, وظهر ذلك في نبرة صوته وهو يقول:

- لا, بسّ أنا بقالي أكتر من ٣ سنين باكل هنا, والقطط دي أكتر من صحابي, همّا الوحيدين اللّي مخفوش منّي وقرّبوا منّي.

شعرَ خليفة بالحرج ممّا قاله, فيبدو أن ذلك الفتى حسّاس لدرجة كبيرة, فتطوع ياسين وقام بتغيير دفّة الحديث عن المحاضرات والمستقبل, وماذا يريد كلّ واحدٍ منهم أن يفعل بعد التخرج ليمضي الوقت بطريقة لذيذة إلى أن انتهوا من الأكل, وعادوا إلى الجامعة مرّة أخرى.

****

استمرّ سمير في التحديق في ذلك الكتاب الذي بين يديه, لا يعلم ماذا يجب أن يفعل, هل يعيده مرّة أخرى إلى غرفة يوسف قبل أن يعرف, أو ربّما هو يعرف بذلك؛ ولذلك لم يعقّب على عدم ذهابه إلى الجامعة معه, وأخذ ياسين وتركه وذهبوا إلى الجامعة, هل كان يفعل ذلك ليعطي له الفرصة ليصحّح هذا الخطأ أم هذا مجرد ظنّ! بالتأكيد هو مجرّد ظنّ, بالإضافة أنه بالتأكيد لا يعلم أنه أخذ الكتاب, إذًا.. لمَ كلّ ذلك التفكير في عودته! قرّر في نهاية المطاف أنّه سوف يعيد الكتاب.. ولكن... بعد قراءته بكلّ تأكيد.

فتحَ سمير الكتاب ليقرأ ما بداخله فوجد في صفحة البداية تلك الجُمل..

(أهلًا بك أيّها العارف.. بمجرّد قراءتك لذلك الكتاب اعلمْ أنّه قد تمّ اختيارُك, نحن من نختار, ونحن مَن ينفّذ, ونحن مَن سوف نحضر؛ فإن أكملت قراءة هذه الكلمات اعلمْ أنّك قد وافقت على الاختيار, وثمنُ العودة مقدار الدم, يعدل ذلك المسفوك في ليلة قمريّة.. فلنبدأ أيّها العارف).

شعرَ سمير شعورًا ليس مريحًا على أثر ذلك الكلام الغريب, بالإضافة إلى شعوره بسخونة شديدة في الغرفة, وكان هناك شخص أو شيء ساخن يحيط به, شيء.. لكنّه حيّ!.

قرّر سمير أن يغلق ذلك الكتاب الأحمق بعدَ أن أخذ يتصفّحه ولم يفهم أيّ شيء به, فهو مكتوبٌ بلغة غريبة لم يعهدها من قبل, وهو ليس ضليعًا باللّغة, ولكن هي ليست الإنجليزية ولا الفرنسية بالتأكيد, وعلى أثر ذلك قرّر أن يذهب للنوم, فيبدو أن الأمر ليس بسيطًا كما يتخيّل.

****

استيقظ سمير ليجد نفسه في غرفة مظلمة, يوجد بها إضاءة, ولكن لا يستطيع تحديدَ مصدرها من أين هي, ولكن استطاع من خلال ذلك الضّوء أن يرى الغرفة بصعوبة بالغة... ما هي إلّا دقائق واعتادَ الظلام. هل استغرق في النوم إلى تلك الدّرجة إلى أن حطّ الليل, ولكن أين ذهبَ ياسين؟ فهو بالتأكيد سيتواجد في سريره الآن.. ولكن, تلك الغرفة ليست غرفته؛ فالمكان أصغرُ بكثير, فهو بالكاد يتّسع له حتّى لا يستطيع أن يتحرّك من مكانه. بدَأ يصل إلى مسمعِ سمير بعضُ همهمات في الخارج لا يستطيع أن يحدّد مكانها أو مصدرهاو ولكن مع الوقتِ استطاع أن يفسّر الأصوات التي كان أغلبها بكاءً وقرآنًا يُقرأ, وأدعية كثيرة, لم يفهم شيء, ولكن.. كلّما مرّ الوقت كلّما كان الصوت أ يتّضح كثر وأكثر, إلى أن انتبه إلى صوت أحدهم يقول:

- ربّنا يرحمه, كان شابّ في عزّ شبابه, سبحان الله؛ الموت بيخطف الواحد في ثواني.

استغرب سمير ممّا سمع, هل توفّي أحدهم في السكن الجامعي وهُم يتحدّثون في الخارج, أم ماذا! ليسمع صوتًا آخر يردّ على صاحب الصوت الأول:

- ده ربنا يصبّر أهله, الواد كان فاضلّه سنة ويبقى مهندس قدّ الدنيا! ربّنا يصبّر والدته, كان نفسها تقول ابني بقى مهندس, المهندس أحمد سمير.

وقعَ الاسم على أذن سمير وقْع الصاعقة, هل يعتقدون أنّه توفّي, أم هل هو حقًّا توفي, ولكن كيفَ وهو حيّ يُرزق! لم ينتبهْ سمير إلّا الآن بأنّ هناك شيئًا ما مربوطًا حول خصره, وهو مَا يقيّده عن الحركة, وليس ضيق المكان. حاول الصّراخ ولكنْ هناك شيء في فمِه يمنعه من الكلام.. أين هو, وما هذا الذي يقيّد حركته, هل يُعقل أن يكون....

الكفن؟!

توقّفت الأصواتُ الصادرة من الخارج ليغطّي عليها صمتٌ طويل لم يعلم سمير لمَ هذا الصّمت, هل ذهب وتركه, أم ماذا حدث، عاد الصوتُ أقرب وأقوى, وكان لمجموعة من الرجال وهُم يتحدّثون عن حمل الجثمان بهدوء حتّى يشيع إلى مثواه الأخير. شعر سمير بغطاءٍ والكثير من الأيدي تمتدّ إليه لتحمله وهو يحاول جاهدًا أن يُصدر أيّ صوت أو أيّ حركة يُخبرهم أنه مازال حيًّا, وأنّه لم يمت.

ماذا يفعل هؤلاء الأغبياء؟!

- أنا عايش, أنا ممتّش, أنا عاااايش....

استمرّ سمير في صراخه, وفي محاولاته المُستميتة التي كان يكلّلها الكثير من الدموع والخوف من الموت, ومن أصوات الناس في الخارج,

وصراخهم عليه, حتّى شعر أنّهم قاموا بوضعِه على الأرض, وأنّ أحدهم راح يفكّ تلك الأربطة المقيّدة له. شعرَ سمير أن هذه آخر فرصة للخلاص, فهذا يعني أنّهم وصلوا به إلى القبر, ويقوم التُّربي بفكّ الأربطة كما كان يسمع وهو صغير من حديث أمّه عن الموت, حاول جاهدًا الخلاصَ أو الحركة مرّة أخرى بعد أن شعرَ بزوال تلك الأربطة, ولكن هناك شيء ما يمنعُه, ولا يستطيع لا الحراك, ولا أيّ شيء.. أحدُهم أزاح ذلك الشيء, والذي كان هو الكفن الذي كان يغطّس وجهَه طول الوقت وهو يظنّه الظلام. وضعَه المشيّعون على وضع الدفن الصّحيح قبلَ أن يتركه ليخرج خارج القبر, حاول جاهدًا أن يناديهم أو يتحرك أيّ حركة, ولكنْ كلّها باءت بالفشل.. ما هذا! أهو الآن في القبر! هل هذا هو الموت؟ هل كلّ شيء انتهى الآن, ولن يرى والدته أو أصدقاءه مرّة أخرى؟ هل سيسامحه الله على تقصيره في حقّه, وفي حقّ الآخرين؟ كلّ تلك الأفكار كانت تعصف بعقل سمير إلى أن قطع حبل أفكاره شعورُه بوجود حركة غريبة داخل القبر, حاول جاهدًا أن يستبين من الضّوء الخفيف الذي كان يدخل القبر لمعرفة ما الشيء الموجود بالداخل, ولكن لم يستبنْ شيء.. ولمَ الخوف! فهو الآن ميت.. هل يوجد شيء أكثر من ذلك؟! وصلَ إلى سمعه صوتٌ يشبه زمجرة الكلاب يأتي من أمامه, حاول أن يركّز عينيه ويتوسّل إلى عينيه حتّى ترى مصدر الصوت, هل هناك كلب داخل القبر أم ماذا, ولم يلاحظ أحدًا وهو يدخل. شعر سمير بأيدٍ ساخنة تزيح عنه غطاءَ الكفن, ثمّ ترفعه في قوّة جبّارة, وكأنّه دمية صغيرة قبل أن يجدَ وجهه في وجه ذلك المخلوق المرعب... أبشع مخلوق من الممكن أن تراه, فهو يشبه البشرَ من حيث شكل الجسد كأنّه شخص أفريقي الملامح, ولكن أطول بكثيرٍ من البشر, وقوي البنية, ويرتدي طربوشًا أحمر قصيرًا, لا يتناسب مع العصر الحالي, وعينه يغطي فيها الجزءُ الأسود كاملَ العين, أمّا ملامحه فهي ليست بشريى على الإطلاق.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم, يا رب, يا رب, ارحمني يا رب.

كانت هذه كلمات سمير الذي حاول بشدّة أن يستجمع قواه من أجل الاستعاذة, في محاولة يائسة منه, ممّا أغضب ذلك المخلوق الذي قرّر معاقبة سمير على ما فعله, هذا المخلوق

كان... دنهش!

أطبق دنهش على رقبة سمير بيدٍ واحدة, ورفعه عن الأرض, ووضع يده الأخرى على عينيه وضغط, واستمرّ في الضغط بشدّة حتّى شعر سمير وكأن عينيه يوجد عليهم جمرة من لهب, وكأنّها اقتربت من الانصهار من شدّة الحرارة. أخذ يصرخ ويتوسّل لذلك المخلوق الذي لا يعلم ما هو، قال دنهش في صوت أجش:

- أقسم عليك يا قرينَ ذلك البشري, أقسم عليك بقدرة رقيائيل ملك الملوك السبع, وبقدرة الملوك السبع, وعظمة أيام الإشراق.. أقسمت عليك أن تزيحَ الغطاء عن تلك العينين, فهو يرى ولا يرى, ويسمع ولا يسمع, أقسمت عليك أن تجعل عينيك هي عينيه ليقرأ ويعلم... العجل العجل, ألواحه ألواحه, الساعة الساعة, احضرْ عليه, واجعله يقرأ ويرى.

شعرَ سمير أنّه لن يرى بعينه مرّة أخرى, فمقدار ما كان يحيطُ بها من سخونة أشدّ من اللهب, ولا أظنّ أن العصب البصري سيتحمّل ذلك المقدار من الحرارة. أخذ سمير يتوسل إلى الله, ويستعيذ به من ذلك الشيطان المُمسك به..

- أعوذ بالله من الخبث والخبائث, يا رب يا رب.. ارحمني يااا رب.

استمرّ سمير في ترديد الاستعاذة أكثر من مرّة إلى أن شعر بحدوث هزّة أرضيّة قوية حوله, تركته على أثرها تلك الأيدي القوية ليسقط على الأرض بشدّة على ذراعه قبل أن يستفيق مما هوَ فيه, بدأ يصل إلى مسمعه صراخ الكثير من البشر, وكان هناك الآلاف من البشر يعذبون, شعرَ وقتها أن ذلك الكابوس لم ينتهِ بعد؛ لذلك استمرّ في استنجاده بالله..

- يااا رب يا رب, يا رب ارحمني يا رب, يا رب ارحمني, وخلّيهم يبعدوا عنّي يااا رب.

ليشتدّ على أثرها اهتزازُ المكان الذي لم يكن توقّف بعد.. وكان القبر سوف يخسف به الأرض, هل هذا غضبٌ من الله, وإن كان هكذا فما هذا الكائن الغريب؟ وماذا يريده أن يقرأ؟ أم هو عذابلإ آخر أرسله الله إليه, ولكن لماذا... أن الله هو الغفور ذو الرحمة!

****

- سمير, سمير. قوم يا ابني, ما لك فيه إيه؟!

استيقظَ سمير من النوم على صوت ياسين الذي كان بجواره لأكثرَ من نصف ساعة يحاول أن يجعله يستفيق. انتفضَ سمير مفزوعًا لينظر حوله وكأنّه يتأكّد أنّه في الغرفة وليس في القبر, وأنّ هذا ما كان سوى مجرّد كابوس ليس أكثر, ولكنْ عيناه مازالت تحرقُه بشدّة, أمن الممكن أن يكون من آثار الحلم! فبعض الأحلام تترك آثارًا في الواقع وكأنّه أمر حقيقي هو يعلم ذلك جيدًا.

- إيه يا ابني! ما لك؟

قطعَ صوت ياسين حبلَ أفكار سمير لينتبه إلى ياسين الذي يراقبه بقلق منذُ استيقاظه..

- أنا.. كويس كويس.. كان كابوس, بسّ كابوس وحش قوي, الحمد لله إنّه كابوس.

- كابوس إيه ده يا ابني اللّي يخلّيك عمال تقول كلام غريب وانتَ نايم. وبعدين عينك حمرا قوي كده ليه ياض!؟

انتفضَ سمير من مكان ليذهب لمرآة الحمام الصغير, ليجد أن عينيه تحوّلت إلى كتلة من الدّماء؛ حيث أن اللون الأبيض غير متواجد الآن, وكأنّه تمّ استبداله بالدم أو مثل الدم من شدّة احمرار عينه, على الرغم من أن الألم أصبح أخفَّ الآن, هل من المعقول أن يكون كلّ هذا من آثار الحلم فقط؟!

- سمير, يا سمير..

اتّجه سمير إلى مكان ياسين ليرى ماذا يريد هذا الآخر, ولمَ تلك الطريقة الملحّة في النداء..

- إيه يا ياسين! فيه إيه؟!

اقترب ياسين من سمير, وأشار إلى السرير وهو يقول:

- إيه الرملة دي؟ وإيه اللّي جابها هنا؟!

نظرَ سمير بتفحّص نحو السرير ليلاحظ وجود قليلٍ من الرمال مكانَ نومه, ما هذا!؟ هل هذا من رمال القبر, هل ذهبَ هناك حقًّا وهو ليس مجرّد حلم, أم ماذا؟!

- إيه يا ابني.. متنطق!

- معرفش يا ياسين, معرفش, بقولّك إيه أنا هنزل أجيب حاجة آكلها.

لم ينتظر سمير ردّ ياسين, فبمجرّد أن أنهى كلمته اتّجه إلى باب الغرفة للخروج، فهو يحتاج أن يبقى بمفرده قليلًا, حتّى يعلم على الأقل ماهية الذي حدث له.. هل هذا حلم أم أنّه قد دفن بالفعل, ولكن كيف عاد!

****

في أعماق الجحيم في باطن الأرض, حيث يسكن أقوى الشياطين خبثًا, وأخطرُ العفاريت وقبائل الجن.. تحديدًا في ذلك القصر البعيد الذي يوجد على أعلى جبل الموت, ذلك القصر الذي يشابه في فخامته وبراعته قصورَ سليمان مالك الجنّ والطير, قصر الملك رقيائيل ملك ملوك الجنّ السبع.

في داخل القصر, كان يقف القائد القوي والعفريت المكين دنهش بخضوعٍ أمام الملك رقيائيل, الذي مهما حاول أحدٌ من البشر وصف شكله لَن يستطيع أن يقترب حتّى من حقيقته المرعبة ، بدأ الملك الحديثَ بصوتِه الأجشّ القوي, المعروف عنه:

- ما أخبارُ بني البشر يا دنهش؟

ليردّ عليه دنهش في احترام وتبجيلٍ واضحيْن في صوته, فهو في قرارة نفسه- وعلى الرّغم من جبروته- كان يقدّر رقيائيل, وليس فقط يماطله كما يفعل الكثيرُ من القادة للحصول على المزيد من السلطة..

- مولاي الملك, أنت القويّ الجبارو فبقدرتك وجبروتك استطعت أن تجعل الكثيرَ من بني البشر عبيدًا لك, يفعلون الأفعالَ من أجل أن ينالوا رضاك, وإرضاء أمير النور يومَ خلق النور العظيم لوسيفر.

ضحك رقيائيل لمدح قائده, والرجل الثاني بعده, حتّى اهتزّ المكان على أثر ضحكته... فهو كان يحبّ كثيرًا مَن يبجّله ويهابه, وخصوصًا أن أتى الأمر من قائدٍ قوي مثل دنهش، ليقول بصوته الرّخيم الذي لم يخلُ من آثار الضحك:

- ولكن يبدو أنّهم عبدوك أنت أكثرَ منّي يا دنهش, فأنت تجعل كلّ من تظهر له يسجد إليك حتّى يتمّ الاقترانُ والعهد, أليس كذلك أيّها العفريت المكير.

تبسّم دنهش على مداعبة سيّده له, فهو حقًّا كان يفعل ذلك من أجل إرضاء غروره, وأيضًا من أجل إذلال بني آدم الذي يتخيّلون أنّهم الأقوى في الكون, وأنّهم هم مَن تمّ تسخير الكون من أجلهم, وأنّهم خلفاءُ الأرض, وكلّ هذا الكلام الذي يخدع به البشر أنفسهم, وفي حقيقه الأمر ما هُم غير مخلوقات حمقاء مثل البقية, وجدوا حتّى يتحكّمَ بهم الجن, أو عقاب من ربّ السماوات للجن, ولكن.. ليس ليحكموا العالم ويسودوه.. بل سوف نحكم نحن العالم من خلالهم, من خلال ذلك الخليفة الذي لا يتعدّى كونه حيوانًا عاقلًا, مجرّد حيوان لا يسمو إلى مقامِ الجنّ وعشائرهم.

اقتربَ دنهش من الملك قليلًا... (فهو من القلائل الذين يُسمح لهم بالاقتراب من الملك) ليخبره بآخر أخبار الأرض..

- مولاي الملك, أصبح كلّ شيء متاحًا أمام العازف لتتمّ النبوءة, فقد تمّ إعطاء ذلك الأحمق القدرةَ على القراءة, ليستطيع قراءة الكتاب

الذي صنعَ بأيدينا وتحتَ رعايتنا. الآن لا يسعني سوى الانتظار, فما هو إلّا قليل من الوقت حتّى يتمكّن منه فضوله.. ويقوده للتضحية, وتخطّه أول خطوة النبوءة.

تبسّم رقيائيل بارتياح من تلك الأخبار الرائعة ليكمل:

- أنت تعلم أن الدم واجب على ذلك الأمر لكي يحضرَ العازف مرّة أخرى بقوّته الحقيقة, لذلك يجب حدوثُ التّضحية تلك من أجل تحقيق ذلك الهدف.

- أعلمُ يا مولاي. وبكلّ تأكيد سوف يتم الأمر, أنا واثق من قدْر العازف حين تكتمل قوته, وينتقم من قاتله, سوف يحكم بني البشر.

****

استيقظَ سمير من نومه بعد منتصف الليل على آثار نومه بعد عودته مباشرة من الخارج بعد أن حدّثته نفسه أنّه من الممكن أن يكون كلّ ما حدثَ قد حدثَ لخيرٍ له, وربّما يصبح له خدمٌ من الجن مثلًا, وما كان يسمع عن الشيوخ في قريته, ويصبح الشيخ سمير. تبسّم وقتها على تلك الفكرة التي كان دائمًا يتمنّاها، فعلى الرغم من خوفه الدائم من تلك الأمور, ولكن كان دائمًا يتمنّى أن يصبح له خدمٌ وقوة مثل هؤلاء الشيوخ حتّى يَهابُه البشر. اتّجه إلى الكتاب الذي لم يستطع فهمَ ما وجد به المرّة السابقة, ولكن هذه المرة كان هناك شيء يؤكّد له أنه سوف يستطيع القراءة، أمسك الكتاب بيديه, وهذه المرّة لم تسْرِ في جسده تلك القشعريرة التي كانت تحدث عندما يلمس للكتاب.. وفتح الكتاب...

وقرأه..

كان الكتاب يتحدّث عن أمور غريبة وعجيبة؛ من استحضار وتسخير ملوك الجن السفلي, وأيضًا تسخير أرواح أعتى السّحرة, والتتلمذ على أيديهم, كما ذكر أسماءهم, وكيفيّة تسخيرهم، تحدّث الكتابُ عن خمس سحرة أقوياء؛ وهم (عبد الله الحظرد, وسابغ النوافي, أحمد بن على البوني, وأبو عابد المقرضي, وحاخام يهودي يدعى رشال سمحون) كان لتلك الأسماء وقعٌ قوي في نفس سمير, فبمجرّد قراءة الأسماء- على الرغم أنّه لا يعلم أيّ أحد منهم- سرتْ في جسده رهبة لأصحاب تلك الأسماء الغريبة والقوية في نفس الوقت، فقد سمع من قبْل عن الحظرد من قِبَل ياسين صديقه, فهو قد قرأ عنه في إحدى روايات الكاتب الإنجليزي الذي لا يذكر اسمَه، ولكن كان تحضير روح كلّ واحدٍ منهم يتطلب الكثيرَ من الأشياء المختلفة, وكان أصعبهم هما الحظرد والبوني, أمّا الحاخام اليهودي كان يجب أن يتمّ تحضير روحه في محراب القدس حيث تمّ ذبحه منذُ زمنٍ بعيد؛ لذلك لم يكنْ متاحًا هو الآخر. كاد يفقد سميرُ الأمل من أن يستطيع أن يحضر أيًّا من هؤلاء السحرة قبلَ أن يلقي نظرة على المقرضي الذي كان رغمَ وجود بعض الصّعوبات في تحضيره, ولكن كان هو أسهلهم فكانَ يجب أن يتمّ تحضيره في ليلة قمرية, وأن تسيل دماء ٣ أشخاص على الأقلّ بمقدار كأس صغير, على أن يتمّ ذلك برضا كلّ منهم, وأن يقال قسَمٌ, أو شيء يدعى عزيمة كما هو مذكور في ذلك الكتاب الغريب بعدَ كتابته على ورقة منجّسة بريشة غراب. شعر سمير أنّه من السهل إقناع خليفة بالأمر, وأيضًا يمكن جعل ذلك الأحمق يوسف هو الآخر أن يقتنعَ؛ فهو بالتأكيد سوف يفعل أي شيء من أجل أن يصبح له أصدقاء, فهو بالتأكيد لن يعترض على مقدار صغيرٍ من الدماء، أمّا أصعبهم فهو ياسين الذي يعلم جيدًا أنّه لن يرضى أن يفعل ذلك بسهولة؛ فهو من هؤلاء المُتفلسفين الذين لا يقتنعون بالجنّ, وما إلى ذلك.. ولكن هو يحتاج دم ياسين حقًّا.. ولكن أن لم يوافق ياسين

يمكن أن يستبدل الأمر بدمِه هو. وهكذا لن يكون هناك أيّ مشكلة في الأمر، كمِ الأمر سهل مقارنةً بهؤلاء الآخرين.. فمهم مَن يجب إحضار دماء ظبي, والآخر جلد غزال أبيض نادر، كيف يأتي السّحرة بتلك الأشياء! إنّه ليس بالأمر الهين. قرّر سمير أن يخلد للنوم الآن, على أن يجتمع بهم غدًا ليقنعهم بالأمر, فغدًا كان من حظه السّعيد يوم الثالث عشر من شهر.... أول الليالي القمرية... أو ربّما من حظه السيّئ.

******

استيقظَ سمير في صباح اليوم التالي بنشاط غيرِ معهود عن أيامه الأخيرة؛ فقد استيقظ في الساعة السابعة صباحًا قبل ميعاد المحاضرة, وقد كان في غاية الحماسة من أجل ما عقدَ عليه العزم ليلة أمس؛ قرّر أنّه في بداية الأمر سوف يحضر الأشياء اللازمة من أجل أن يحضر روحَ المقرضي، فقرّر أن يذهب إلى الصيدلية المجاورة ليأتي بمحقنٍ من أجل استخراج الدم من أصدقائه, وبالطّبع أحضر أكثر من سنّ لذّلك المحقن, فهو لا يريد أن يتسمّم أحدٌ منهم فداءً لروح المقرضي, ولكنّه تذكر أنه لا يعلم الطّريقة الصحيحة في استخراج الدم من الشّريان أو الوريد, فهو لا يعلم الفرق بين الاثنين، ولكن بعدَ جلسة ليست بالقصيرة استطاع أن يعلّمه الدكتور المتواجد في الصيدلية في ذلك الوقت كيفية استخراج الدماء بدون وقوع أيّ إصابة خطيرة لأحد, بعد أن أقنعه أنه يجالس أمّه المريضة, وتحتاج أن تقوم بتحليل للدّماء كلّ فترة, وأنه لا يمتلك المال لكي يحضر أحدًا من المعمل لأخذ العينة.

اتّجه أثناء عودته إلى غرفة يوسف ليلحقه قبل الذّهاب إلى الجامعة, فهو يعلم أنّه غير متوقع تصرّفاته, فمن الممكن أن يذهب أو لا، ذهب ليخبرَه بموعدهم الليلة للسّهر معهم، الذي رحب على أثره يوسف معَ

استغراب من لطف سمير معه غير المعهود، وعلى آثار ذلك أخبر خليفة نفسَ الأمر حتّى يأتي هو الآخرو وجعل ياسين في الآخر؛ حتّى يكون أمامَ الأمر الواقع، أمّا بقيّة اليوم فسار كأيّ يوم تقليدي.

****

تفاجأ ياسين حين وجدَ خليفة على باب الغرفة بعدَ العشاء حيث لم يكن هناك ميعاد سابق لذلك الأمر..

- إيه يا خليفة, إيه المفاجأة الفشيخة دي, ده أنا لسّه سايبك في الجامعة من كام ساعة!

- يا اسطى وحشتني يا اسطى, يا ابني ماهو سمير مكلّمني عشان نقعد شويّة.

أكمل خليفة كلامه بعد أن دخلَ إلى داخل الغرفة:

- هوّ نسي يقولّك واللّا إيه؟!

- لا مقالّيش. الواد ده غريب أصلًا الفترة دي تحسّه مش مظبوط كده.

- إيه يا خليفة اتأخّرت ليه با برو؟

كانت هذا من سمير الذي ظهر من العدم بمجرد دخول خليفة إلى الغرفة.

- عادي يا معلم, معلشّ بقى الطريق انت عارف.

نظرَ ياسين إلى سمير, وقال له بشيء من الاستغراب:

- إيه يا اسطى أنتَ مقولتليش ليه أن خليفة جاي؟

- عادي يعني يا ياسين نسيت، استنّوا بقى هروح أجيب الواد يوسف من الأوضة بتاعته هوّ كمان.

- يوسف!

نطقَ ياسين باستغراب من رغبة سمير في إحضار يوسف.

- إيه؟ مرّة واحدة كده حبّيته! ما انت طول الوقت مش طايقُه!

أكمل ياسين كلامه وهو ينظر إلى سمير نظرة مريبة, كأنّه يتحدّث إلى شخص آخر، ليقطع سمير عليه تلك النظرة واستغرابه واستغراب خليفة باتّجاهه للباب ليذهب ليحضر يوسف، مرّت دقائق تبادل فيها خليفة وياسين نظرات استغراب, ونظرات أخرى ذات معانٍ مختلفة على حالة سمير.. عاد سمير مرّة أخرى إلى الداخل, ولكن تلك المرّة بصحبة يوسف الذي رحّب به كلّ منهم بابتسامة ترحيب حقيقية. مضى الوقت بينَ كثير التهريج والضحك ولعب ألعاب الفيديو والكوشتينه, كانت ليلة جميلة حتّى نسي ياسين شعورَه بالغربة من سمير, ومن كلّ ما يحدث, وكان كلّما أراد خليفة أو يوسف المغادرة يتمسّك ويتحايل سمير للبقاء أكثر وأكثر, معلنًا أنّه هناك أمرٌ هامّ سوف يحدث في آخر اليوم, حتّى أشارت عقارب الساعة إلى منتصفِ الليل, في تلك الأثناء قرّر سمير أن الوقت قد حان لفعل ما يريد، بدأ سمير كلامه وهو يتحرّك بطريقه استعراضية..

- بصّوا بقى يا شباب, فيه حاجة مهمة قوي عايز أكلّمكم فيها, أنتوا مش حاسّين أن الحياة مملّة, مفيش ساسبنس, مفيش متعة, بنصحى الصّبح نروح الجامعة نرجع منها, وهكذا.. حاجة عبارة عن ملل, إيه رأيكم لو نعمل حاجة مختلفة, ومُخيفة النهارده.

نظرَ جميعهم إليه باهتمام ملحوظ, حيث ليس من عادة سمير أن يثير انتباهَه أمر ما, بل أن يكون هذا الأمر مرعبًا, ويقرّر أن يفعله وهو في حقيقة الأمر سلبي, ويخشى أن يقدم على فعل شيء؛ فهذا أمر- لو تعلمون- عظيم!

- قصدك حاجة مخيفة زيّ إيه يا اسطى؟!

كان هذا من خليفة الذي انجذب بشدّة لما قاله سمير, وكان ذلك واضحًا في طريقة نطقه للجملة.

- هقولّك.

أدار لهم سمير ظهرَه واتّجه إلى المصباح ليطفئه ويترك واحدًا فقط حتّى يطبع طابعًا مخيفًا على المكان, تهيئة لما سوف يقول, وأكمل كلامه بطريقة فيها الكثير من الإغراء, وهو قد حضّر مسبقًا ما سيقول حتّى لا يفضح أمره أمام يوسف الذي كان متوجدًا هو الآخر, والذي لا يبدو أنّه لاحظ اختفاء الكتاب من الأساس:

- وانا بقلّب على النّت, قريت عن حاجة اسمها تحضير أرواح, وإن الأرواح ممكن تعود مرّة أخرى من منطقة البرزخ لفترة معينة, وترجع تاني, يعني مينفعش إنّنا نحيي حدّ تاني- قبل ما حدّ يقاطعني ويقول مينفعش- لأن ده طبعًا خارج عن إرادتنا ومش بيتم إلا بإرادة ربنا بسّ, الفكرة إنّنا بنستدعي القرين بتاع الشخص صاحب الروح, والقرين ده بيكون زيّه زيّ الروح, فكأنّ الروح بترجع.. القرين ده بيكون معاه كلّ خبر وتجربة مرّ بيها صاحب الروح, وعنده طبعًا كمان كلّ معلومة وفكرة مرّ بيها, تخيّلوا بقى معايا أمّا نستدعي قرين بطريقة سهلة, ونسمع قصّة وحكمة الراجل ده!

انتبه يوسف لما قال سمير, وقال له بعد أن اعتدلَ في جلسته كأنّه يهيّئ لقول أمر مهمّ:

- أنا أول مرّة أسمع عن الكلام ده, قصدك يعني إنّنا ممكن نستدعي روح أيّ حد, زيّ أدولف هتلر أو مثلًا لافت كرافت, أو أيّ حد؟!

- بالظّبط يا جو, بسّ إحنا بقى هنستدعي حاجة تكون أكثر علمًا, وأكثر تشويقًا من الناس دي.

كان الردّ من سمير فيه شيء من الحماس لا يجذبهم للأمر والإقبال الذي قلّما يظهر على سمير، ليقاطعهم خليفة هو الآخر مبديًا رأيه:

- بصّ يا صديقي, هو الموضوع شيّق جدًّا, بسّ الفكرة.. هل ده أصلًا هيحصل! أصل معلش مش كلّ حاجة على النّت بتبقى حقيقة, فاهمني؟ يعني ممكن تكون اشتغالة زيّ اشتغالات كتيرة.

- وممكن برضه يا خليفة متكونش اشتغالة, بصّ.. إحنا نجرّب والموضوع بسيط.

التفتَ خليفة إلى ياسين:

- وانتَ إيه رأيك يا عمّ ياسين في الكلام ده؟!

اعتدلَ ياسين في جلسته ليعطي لكلامه طابعَ الجديّة قليلًا, وقال:

- بصّوا يا جدعان, أنا أوّل مرّة أسمع عن الكلام الغريب ده اللّي كلّكم عايزين تعملوه, بسّ قبل ما حدّ فيكم يفكّر يعمل حاجة, تقدر تقولّي يا عمّ سمير.. القرين اللّي انت جبته ده اللّي هو أكيد هيبقى جنّ هتصرفه ازّاي؟ واللّا هتسيبه عشان يفشخنا كلّنا واحد واحد, واللّا أصلًا هتحضّره ازّاي؟!

- مُمكن تهدى شوية عشان تفهم.

قال سمير بطريقة عدائية نحو ياسين؛ حيث أنّه لم يتوقع ذلك السؤال، ثمّ وجّه كلامه للجميع بعد أن قام بتجهيز إجابة شبه منطقية على السؤال:

- وزيّ ما قلت يا جدعان. إحنا نحضّر القرين ونعرف منه كلّ حاجة عن صاحب جسد الموكل بيه القرين, وبمجرّد منخلّص بيبقى في كلام بنقوله زيّ عهد أو حاجة كده بنقولها عشان يمشي تاني, بسّ كده.. الموضوع بسيط.

- يلّا بينا, أنا معاكم.

قالها خليفة بحماس رهيب نحوَ الأمر. فهو كان مِن هؤلاء الاشخاص المندفعين لأيّ أمر غريب وجديد، بينما أكمل يوسف:

- وانا معنديش مانع... بسّ هوّ انت ناوي تحضّر بقى قرين مين؟ واللّا لسّه محدّدتش؟

ابتسم سمير بعد أن نجحت خطّته في استفزاز رغبتهم نحو الموضوع, ثمّ قال:

- هنحضّر قرين ساحر, إيه رأيكم؟

عمّ الصمت والذهول عليهم جميعًا ممّا قاله سمير, فلم يتوقّع أحد أن يقوم سمير بذلك الأمر، حتّى كسر ياسين الصمت:

- ثواني بسّ كده, هوّ انت هتحضّر قرين ساحر ساحر.. واللّا إيه؟! يعني ساحر بتاع تحضير وكده!

- أيوه ساحر, أومّال يعني لعب عيال!

نهض خليفة من مكانه بحماس واتّجه نحو سمير:

- طب قولّي يا سمير, هوّ السّاحر ده اسمه إيه؟ ومقدار قوّته إيه؟

- بصّ, الساحر ده اسمه أبو عابد المقرضي, بيقول إنّه ساحر قوي جدًّا, كان موجود من فترة بسيطة, بصّ.. هوّ هيحضر وانت تشوفه.

- طيب هنعمل إيه عشان نحضّره؟

كانت تلك من يوسف الذي كان الحماس باديًا عليه هو الآخر ممّا يحدث.

اتّجه سمير نحو الطاولة, كان قد أعدّ عليها من قبل كلّ شيء, ثمّ جلبها أمام الجمع وهو يقول:

- بصّوا بقى يا جماعة, الموضوع بسيط, بسّ مهمّ قوي. أولًا أنا هقول شويّة طلاسم عشان اقْدَر أحضّر القرين بتاع الساحر ده, بسّ عشان يحصل كده لازم نقدّم ليهم حاجة.

نظر ياسين نحوه باهتمام وقال:

- حاجة زي إيه بقى؟

- مقدار فنجان من دم منّنا إحنا الأربعة, أو من تلاتة منّنا, كلّ ما الدّم يبقى كتير كلّ ما نضمن أن الموضوع هيتمّ على خير.

تساءل خليفة وقد بدَا عليه القلق:

- إزّاي يعني؟ هنشرّح نفسنا!

- لا يا خليفة, الموضوع بسيط, بصّ..

أمسك سمير بالمحقن, وقد قام بتركيب إبرة به من قبْل, وأكمل:

- إحنا هناخد مقدار حقنة من كلّ واحد من الدم, زيّ التحليل كده بالضبط, والمقدار ده قدّ الفنجان, ونحطّهم سوا كلّهم ونقول الطلسم وخلاص, المهمّ جاهزين نبدأ واللّا إيه؟

يتبادلون نظراتهم جميعًا وكأنّهم يستمدّون التشجيع من بعضهم على بدء الأمر، قاطع يوسف الصمت وقال:

- خلاص أنا موافق, وهبقى أول واحد كمان.

ابتسم سمير من تصرف يوسف، حينها أكمل خليفة:

- وانا كمان معنديش مانع على فكرة, يلّا بينا.

نظروا جميعهم إلى ياسين الذي قال وكأنّه مجبر:

- خلاص, يعني أنا هبقى الرّخم اللّي بوّظ الدنيا!

ضحك سمير بسعادة وفخر على قدرته على إقناع الجميع لفعل الأمر. أحضر الورق الذي تمّ وضعه في الحمام لمدّة ثلاثة أيام- كما ذكر في الكتاب-, وأحضر معه فنجانًا من القهوة لخلط الدم بداخله للبدء, ثمّ على الفور بدأ في أخذ عيّنات الدم من كلّ واحد منهم كما قد علّمه الدكتور السابق ذكرُه من قبل.

والآن, أصبح كلّ شيء معدًّا, وعلى أتمّ وجه, لم يتبقّ فقط سوى القليل. اتّجه سمير نحو المكتب ليحضر ريشة غراب كان قد أخذها من غراب نافق على الطريق بعدَ عذاب مرير في البحث عن ريشة

للغربان, وبدأ في كتابة الطّلاسم كما ذكر في الكتاب على الورق, ثمّ استطرد إلى الجميع وقال:

- بصّوا بقى, إحنا كده جهّزنا كلّ حاجة تمام, وكلّه بقى تمام, فاضل المرحلة الأخيرة, الطلسم اللّي من خلاله هيحضر القرين, أهمّ حاجة أن محدّش يخاف خالص من الموضوع نهائي. أنا هبدأ وهقف قدّام الحيطة دي وهقول العزيمة عشان القرين يحضر ونشوفه كلنا.

أنهى كلماته بأنّه اتّجه ناحية الحائط, وبيده الورقة المكتوبة بدم الأصدقاء الأربعة, وقال:

- بهراق بهراق, شهقون شهقون, ادْعهم فإنهم حاضرون. أقسمت عليك يا قرين المذكور يا قرين المقرضي, أقسمت عليك بقوّة ذي العزّة والجبروت, اقسمت عليك بعهد المأخوذ من سليمان, فادْعُهم فهُم إلينا محضَرون, بحقّ قدرة الملوك السبعة.. والبوابات السبعة.. وسرّ رقم سبعة, أقسمت عليك بقدرة سمسمائيل وعنيائيل ورقيائيل وجبرائيل وجميع الملوك السبعة.. احْضَر الآن, احْضَر, احْضَر.

أنهى الطلسم, وانتظروا جميعًا في صمت واقتراب, وجميعهم يتوقعون أن القادم سوف يكون مذهلًا..

ولكن, لم يحدث شيء..

- ما انا قلتك يا عمّ انت, الكلام كله هَبل أصلًا, ومش أيّ حاجة ع النت تصدقها.

كانت تلك من ياسين الذي شعرَ بالانتصار لعدم حدوث أيّ شيء, وأثبت أنه كان على حق، ليؤكد كلامه خليفة هو الآخر:

- فعلًا يا سمير, الموضوع شكله بلح!

- لا يا جدعان بلح إيه! مينفعش.. أكيد في حاجة حصلت غلط.

كانت هذه من سمير الذي كان انفعالُه مبالَغًا فيه بالنّسبة لأمر مأخوذ من المواقع حيث كان قد فقدَ الأمل في أن يصبح ذا قوّة وشأن. أيعقل هذا....

اقتربَ أكثر نحو الحائط, وجلس أمامه, واستمرّ في إعادة الطلسم, على أمل أن يظهر أيّ شيء, إلى أن قاطعه ياسين:

- يا ابني بطّل هبل, ما قلنا إنّه طلع أيّ كلام.

- لا استنّى, ده مش أيّ كلام.

كانت هذه من يوسف الذي ظلّ صامتًا منذُ بداية الأمر.. فالتفتوا إليه جميعًا, ليكمل حديثه:

- الفنجان, الدّم اللّي فيه.. اختفى..

نظروا جميعًا نحو الفنجان الذي كان موجودًا أمام الحائط بجانب الريشة ليجدوا أن الفنجان جافّ تمامًا, وكأن أحدًا ما سحب كلّ ما كان فيه. تحرّك سمير بلهفة نحو الفنجان وأمسكه ليجد أن الفنجان حقًّا قد سُحب الدم بالكامل منه، التفتَ إليهم وهو يقول وكأنّه في يده دليل براءة ابن يعقوب:

- أهو أهو.. أنا قلتلك يا ياسين أن الكلام مش أيّ هبل وخلاص, التضحية اتقبلت, اتقبلت أهه..

قطع حديثَ سمير صوتٌ غريب وكأنّه همس.. أو كأنّه آلاف الأشخاص يتحدّثون في وقت واحد, ولكن بصوت خفيض، قبل أن

يصل إلى سمعهم صوت يأتي من الحائط المواجه لهم, يقول بصوت رخيم وقوي:

- أنتم طلبتم.. ونحن أتينا.. عهدُ الدم باقي, عهد الدم باقي.. عهد الدم باقي.

استمرّ ذلك الصوت في تكرار تلك الكلمة حتّى شعروا أنّه لن ينتهي منها حتّى يقول شيئًا أو يفعل شيئًا.. إلى أن ظهرت دائرة سوداء من الحائط... ظهرت في وسط الضوء الخافت كجزء أعتم من الحائط, إلى أن اختفت وظهر أمامها في نفس الوقت...

المقرضي.

بجسدِه المعروف, وانحناء ظهره المميّز.

****

تسمّر جميعهم من شدّة الصدمة, فعلى الرغم أنّ شكل ذلك المخلوق- الذي بكل تأكيد لن يكون بشرًا- لم يختلف كثيرًا عن أيّ بشري, إلّا أن مجرّد ظهوره من الفراغ هو أمرٌ مرعب في حدّ ذاته. تحرّك سمير نحو ذلك المخلوق بخوف وحذر واضحٍ في قدميه التي كانت ترتعش, وقال:

- أنت.. أنت المقرضي؟

نظرَ ذلك المخلوق نظرة خاوية, بها قليل من الاستهزاء قبل أن يقول:

- لا. أنا قرين المقرضي, ولكن.. بما إنك جاهل يمكن أن تناديني بالمقرضي العظيم.

تحرّك ياسين خطوتين نحو قرين المقرضي وقال:

- وانت بقى تقدر تفيدنا أو تحكلينا على إيه؟!

التفتَ القرين بجسده لياسين وقال بصوت رخيم:

- أيّ شيء, وكلّ شيء. عليك الطلب وعلينا التّنفيذ. ولكن, لكلّ شيء ثمن.

تحدّث يوسف هو الآخر بصوت مهزوز بعد أن استجمع شجاعته بشجاعةِ مَن حوله، وهو لم يعلم أنّ جميع من في الغرفه كانت ترتعد فرائصهم رعبًا:

- طب, طب إيه الثمن؟ ونطلب.. نطلب إيه أصلًا؟

ليكرّر القرين الجملة السابقة وكأنها رسالة مسجّلة تُعاد للمرة الثانية وقال:

- أيّ شيء.. وكل شيء. عليك الطلب وعلينا التّنفيذ. ولكن, لكل شيء ثمن.

- طب يلّا يا جماعة, واضح كده إنّه هوّ مفيش غير الكلام ده عنده, نركز بقى هنطلب إيه.

كانت هذه من خليفة موجهًا كلامه نحوهم جميعًا قبل أن يقاطعه يوسف ويقول:

- بصّوا. إحنا ممكن نسأله عن مقدار قوّة المقرضي, أو نسأله هوّ مات ازّاي, أو جاب قَوته منين؟

- طب ليه, إيه رأيكم لو نطلب منه يخلّي عندنا قوّة زي اللّي كانت عند المقرضي؟

كان ذلك الاقتراح من سمير الذي قرّر أن ذلك هو الوقت المناسب لعرض فكرته.

اقترب ياسين من سمير بعد أن كان يفضل متابعة ما يقولون وكأنّه يشاهد عرض سينما, وقال موجهًا كلامه للجميع:

- هي فكرة حلوة الصراحة, بسّ برضه انتوا مخدتوش بالكم إنه قال إنّ لكلّ حاجة تمن واللّا إيه, أكيد دي هيكون ليها ثمن كبير يعني.

تبادل الجميع نظرة تأكيد لأهمية ذلك الأمر, فبالتأكيد لذلك الأمر ثمن كبير، قبل أن يبادر يوسف بالقول:

- طب بصّوا, هوّ مش مهمّ إيه الثمن على قد ما مهمّ إيه المكسب. أصل أيّ حاجة هيبقى ليها تَمَن, تعالوا نطلبها ولمّا نبقى معانا القوّة دي هنقدر نخرب الدنيا.

- أيوه كده يا جووووو اشتغل معايا, الواد ده صح.

كانت هذه من سمير مؤكّدًا على كلام يوسف, وأكمل مدعمًا الفكرة:

- وكمان إحنا مش هنعمل ده كلّ يوم, فخلّينا نستغلها صح.

- عندك حقّ يا سمير, يلّا بينا خلّينا نعرف همّا كانوا بيحضّروهم ازّاي, والأعمال, وكلّ الكلام ده, تعال نخلّيه يعرّفنا على كلّ حاجة.

كان الكلمات الأخيرة من خليفة الذي أبدى رأيه بالموافقة هو الآخر، ليتبادلوا بعد ذلك جميعًا النظراتِ نحو ياسين الرافض الوحيد للفكرة، والذي قال على أثر تلك النظرات:

- خلاص يا جدعاان محدذش يبصلي, كأني مش موجود, يلّا, بسّ افتكروا إني قلتلكم إنّي مش مرتاح.

اتّجه سمير نحو المقرضي- أو قرين المقرضي بمعنى أدق-, وقال له في لغة حاول أن تكون عربية فصيحة:

- يا قرين, نحن.. لقد اتفقنا على إنك تقول لنا معلومات عن الجن, وعن أصنافهم, وكيف يحدث عهد مع الجن, وطريقة تحضير الجن, والقوى اللّي كانت مع المقرضي زمان.

نظرَ القرين بتمعّن نحو الجميع قبل أن يقول بصوته الرخيم:

- لقد تمّ طلبكم, وسوف يتم التنفيذ, ولكلّ شيء ثمن... وعهد الدم باقي.

أنهى جُملته ثمّ اتّجه نحو الطاولة التي كان سبق واستخدمها في اللعب, وأيضًا في سحب الدم والكتابة، وقف القرين خلف أحد الكراسي وبدأ في السرد.. سرد كلّ شيء:

- أمّا الجن فهم أطواف وأصناف ودرجات, ولكلّ منهم طريقته في الإحضار والاستخدام, فمنهم العفريت.. ومنهم الملوك, والمردة المتمردون على الحكم, وهم من أعتى الملوك, منهم من يعيش في قبائل, كلّ قبيلة مثل الدولة في بني جنسكم, منهم الضوئيّون وهم من أقوى الجن, ومن الجن المسلم, فقدرة الجني الواحد منهم بقوة عشرة آلاف جني من القاسطين, وهناك بنو قيعان وهُم من المردة

المتمرّدين على ملوك الجن السفلى, فمنهم من كان قائدًا لجيش سرقاط, وهو أحد الملوك, ومنهم من كان فارسًا مغوارًا من جيش أمير النور يومَ خلق النور لوسفير الذي تعرفونه أنتم باسم إبليس, ومنهم من يكون حلقة الوصل بين بني جنسكم وجنسنا, وهم عمّار المكان, فهم يسكنون في بعدكم, ولكن متجسّدين في بعدنا, كأنك تنظر إلى الماء من خلف الزجاج, وهؤلاء ليسوا بالأقوى جسديًّا ولكن ذوو أهمية عظمية للجن.. لذلك محرّم قتلُهم من قِبَل أيّ جني؛ فهم عيوننا لديكم.. يخبرونا بكلّ شيء يحدث, وفي نفس الوقت يستطيعون أن يعدّوا تجسيد مشهد قد سبق, فإذا تمّ قتل جني في أرضكم يقوم السحرة لدينا- فنحن لدينا سحرة أيضًا- بإحضارهم حتّى يتمّ تجسيد مشهد قتل الجني حتّى تنتقم القبيلة أو المملكة من قاتله، فهذا عن أمر الجن وبني سوما. أما عن أمر كيفية إقامة معاهد معهم وتحضيرهم فهي كثيرة, وتختلف باختلاف أصناف الجن؛ فهناك نوع من الجن يجب على من يقوم بتحضيرهم أن يكفر بالله عن طريق فعل أشياء محرّمة, وإهانة نعم الله, وهناك الجن المسلم الذي لا يشترط الكفر, ولكن يشترط إقامة ما يعرف بالعهد السليماني, وهو عهد قد سبق أن أخذه سيدنا سليمان- عليه السلام- على الجن, وعلى جميع نسلهم بالسمع والطاعة لمَن أدّى ذلك القسم, فيجب على من يحضرهم أن يقرأ آيات معينة من القران مع العهد السابق ذكره لكي يحضر له الجني, ويجب أن يحذر من أن يحاول أن يؤذيه لأنه سوف يحاول الانتقام في أول فرصة سانحة له. أمّا عن الأوقات فأفضل أوقات للمعاهدة هي الأيام من الأحد والاثنين والثلاثاء؛ حيث يكون فيها كوكب الزهراء متعامدًا مع مدار العنقاء فيسهل الجلب والإتيان. أما أسوأ الأيام فهو اليوم السابق للجمعة, واليوم التالي لها؛ فتكون من أقل الأيام قدرة على الجذب. أما من أمر الجمعة فهي لا يحدث فيها

أيّ جلب أو أيّ شيء بسبب قدسية ذلك اليوم.. وذلك ما هو إلّا مجرد جزء من بحر كبير في علم الفلك والاستحضار.

أنهى القرين شرحه لأول نقطة, ثمّ صمت منتظرًا منهم طلبًا آخر.

كانوا جميعًا مذهولين ممّا قاله ذلك القرين, فلم يتصوّر أحد منهم أنّ الأمر يوجد به كلّ ذلك التعقيد, ولكن يبدو أنّ الأمر علمٌ معقد وطويل مثلَ الهندسة, أو يمكن أكثر بكثير, فكلّ منهم كان يظنّ أنّ الأمر لا يتعدّى مجرد كلمات تقال ليس لها أيّ قانون يوصلهم إلى الهدف.

كان هذا هو حالهم قبل أن يقاطع ياسين ذلك الصمت موجّهًا كلامه للقرين الذي أصبح جزءًا من جلسة سمر اليوم، باستفسار:

- والمقرضي كان عنده خدم قدّ إيه من الجن؟ هل كان قويًّا؟ واللّا كان حاله إيه!

نظر إليه القرين قبل أن يكمل حديثه بصوته الرّخيم:

- كان المقرضي ذا عقل جبارو فقد حفظ قواعد علم الجلب والاستحضار. واستطاع التلاعب بها كما يريد, فكل ساحر وله طريقته في الجلب فهي قواعد, ولكلّ طريقُه.

المقرضي استغلّ سلطته في عمل عهد مع ملك من ملوك الجن السبع رقيائيل, والذي على أثرها أصبح يمتلك كتيبة كاملة من فرسان الملك رقيائيل تفعل له الأفاعيل والأهوال حتّى أصبح ذا شهرة, وسلطة كبيرة في منطقته على بني جنسه, ولكنْ هو لم يقف إلى ذلك الحد, ولكن استمرّ في تحضيره حتّى استطاع أن يخدع واحدًا من أقوى وأعتى مردة الجان؛ وهو دنهش, ذلك المارد الذي يخشى حتى الجنُّ من ذكر اسمه, استطاع المقرضي أن يقوم بتحضيره، ومن صفات تحضيره أنه

يظهر في الخلاء في شكل شخص أسود البشرة طويل وقوي الجسد, يرتدي ملابس قديمة الطراز, وعلى رأسه طربوش أحمر قصير, وعلى من يظهر له لكي يتمّ العهد أن يسجد له حتّى يتمّ العهد. ولكن, المقرضي قام بخديعة ذلك الجني فبمجرد تحضيره لدنهش وأمر خدمه من فرسان رقيائيل أن يسيطروا على ذلك المارد العتيد, ممّا كلّفه أكثر من نصف ما كان يملك من فرسان رقيائيل. قد كان ذلك الساحر من أحقر السّحرة, فهو لم ينظر لكلّ الدماء المهدرة من الجن, ولكن كان يضحّي بهم ليكسب الوقت حتّى يحضر طلسم الإخداع الذي كان بكل تأكيد لن يصلح مع مارد مثل دنهش. ولكن, ذلك الماكر كان قد دمج هذا الطلسم مع طلسم دائرة التحكم بالإضافة للعهد السليماني, مما جعل السيطرة على دنهش أمرًا سهلًا للغاية، وبمجرد أن أصبح دنهش في خدمة المقرضي أصبح ذلك الأخير في عزّه وقوته, وبدأت أسطورة المقرضي.

- وإيه اللّي حصلّه بعد كده؟ مات ازّاي؟

كانت الكلمات الأخيرة من خليفة الذي انجذب إلى ما قاله ذلك القرين وكأنّه يشاهد فيلم سينما

ليكمل القرين كلامه:

- كان الردّ الطبيعي من الملك رقيائيل أنه قرّر أن يصبّ غضبه على ذلك الساحر الأحمق انتقامًا لفرسانه, ولكن الملك المعظم كان لديه رأي آخر؛ حيث شعر أنّ ذلك الساحر لديه من الأفاعيل والقدرة ما تجعله يحكم على بني البشر فقرّر الملك أن يسامح المقرضي في مقابل أن يصبح دنهش نفسه من خدم الملك عن طريق المقرضي.. ومع مرور الوقت أصبح دنهش برغبة منه قائدًا من قادة جيش الساماد

جيش النخبة للملك رقيائيل, طبعًا بعد حدوث تصالح بين دنهش وبين أهالي الجنود المسفوك دمها على يد ذلك الساحر.

- وبعد كده إيه اللّي حصل بما إنّه كان عنده القوة دي كلها.. مات ازّاي؟!

كانت هذا السؤال من خليفة الذي أثارت القصة فضوله كفضول طفل يستمع إلى قصص ألف ليلة وليلة.

ليكمل القرين حديثه:

- حدث ما حدث في تلك الليلة المشئومة حينما أتت إحدى ساكنات القرية المتواجد بها المقرضي تبلغه أنّ ابنها غريب وتصرفاته أغرب. كان هذا أمرًا طبيعيًّا حيث كان المقرضي متأكّدًا أنّ الأمر لن يتخطّى الإرهاق التأثيري, الذي تحدثه القوة الروحية في جسم الإنسان المصاب, مثل العين والحسد وتلك الأشياء.. ولكن الأمر اتّضح أنه أخطر من ذلك.. اتّضح أنّ ذلك الطفل زهوري!

- زهوري! إيه الكلمة الغريبة دي! يعني إيه أصلًا؟

سألَ ياسين باستغراب عن ذلك الاسم الذي لم يسمع به من قبل.

أكمل القرين توضيحه للأمور:

- الطفل الزوهري أو الزوهريّون, هم أطفال بني البشر, التي ولدت في وقت تعامد كوكب الزهراء في مدار الجدي. تلك الأطفال تكون من أنقى أنواع الدماء في بني بشر. وفي غاية الأهمية لنا كجنّ, فدمُهم يجدّد شبابًا، لذلك يريد كلّ ساحر أن يملك طفلًا من تلك الأطفال ليقدّمها كقربان لأحد ملوك الجن حتى يتمالك بها رضاه.

- يعني هي كلّ الأطفال دي بتبقى زوهريّين, أيّ حدّ بيتولد في وقت الزهرة ده, واللّا مش عارف إيه اللّي قلتُه ده!؟

كان السؤال من يوسف مستفسرًا عمّا يقول القرين.

ليكمل القرين حديثه:

- ليس كلّ مَن ولد في الفترة المقدسة من الزّوهريين ولكن يجب أن يتوافر بهم بعض الصفات, مثل أن يوجد حول خفيف في عينه اليمنى كأنّها تصبّ في العين اليسرى, وهناك خطّ يقطع يده اليمنى بالعرض, مع انشقاق في لسانه بالطول, بالإضافة إلى صفات أخرى, فعينه دائمًا غير مستقرة بالنسبة لكم كبشر... تنظر في كلّ اتجاه, هذا لأنه يرى من خيالات الجن.. وتختلف درجات وأغراض استخدام الأطفال بدرجة قدرتهم الزوهرية, ونقاء دمهم, فمنهم مَن يستخدم لعقد عهد من ملك من ملوك الجن, ومنهم مَن يستخدم في حكم قبيلة كاملة.. ومنهم من يجعلك في مناصفة أعتى ملوك الجن والتحكم في عشائر بأكملها. أمّا ذلك الفتى فقد كان أقوى بكثير من كلّ أصناف الزوهريين.

- أقوى ازّاي يعني, وإيه اللّي حصل بعد كده.

كان ذلك السؤال من ياسين وهو يحثّ القرين على أن يكمل حديثه عن ذلك الزهري.

ليكمل القرين بصوته الرخيم:

- قد كان ذلك الفتى يملك من القوة ما تجعله يحكم بني الجن بأكمله, وليس ذلك فقط؛ فقد كان لديه الوعي والمعرفة بقدرته ما تجعله قادرًا على منازلة أعتى الوحوش والمردة؛ لذلك حينما رأى دنهش ذلك الفتى أخبر الملك رقيائيل أنه العازف.. ذلك المذكور في الكتب؛ عهد

آخر ملوك الأرض القديمة أنه سوف يعود ليوحد ممالك الجن مرّة أخرى بعد أن يتعلم أن يتحكم في جميع قواه, وأن يكون لديه القوة اللازمة للتحكم فيها.

- يااااه! للدرجادي الولد ده كان قوي, لدرجة إنه يملك بني الجن كلهم؟!

كانت ذلك من يوسف متسائلًا عن قوة ذلك العازف أو الفتى المذكور.

ليكمل القرين:

- بل أقوى من ذلك بكثير, ولكن حينما أخبر دنهش الملك رقيائيل الذي بالطبع فضّل أن يكون ذلك الفتى في حوزته لكي يحكم به بني الجن كلهم, وبالطبع أعطى لخادمه وفارسه المغوار المطيع دنهش الأمر, وأعطى امتيازًا أنّه إذا خالفَ المقرضي الأمرَ فبمقدوره أن يقتله. وبالطبع كان دنهش في غاية السعادة من قتله للمقرضي حيث كان يكرهه بشدة.

- ازاي؟

سأل سمير, الذي أكمل باستفسار:

- هو مش المفروض إن دنهش خاضع للمقرضي, إزّاي بقى يقدر يفكّ الإخضاع ويقتله؟!

نظر نحو القرين موجهًا حديثه إليه:

- إن الأمر في غاية البساطة, أن للملك رقيائيل من سلطته على جنوده, وبما أن دنهش من جنوده الآن فيصبح دنهش حرًّا من اتّباع

العهد المأخوذ عليه.. بالفعل نفّذ دنهش الأمر, وذلك الأحمق وقع في الفخ بسبب طمعه, حين خالف أمر الملك, فأصبح من حق دنهش أن يقتله.. ولكن, حدث ما لم يكن في الحسبان.

_إيه اللّي حصل؟ المقرضي هو اللّي قتله واللّا إيه؟

كان السؤال من خليفة, الذي شعر أنه يقرأ إحدى القصص العجيبة والغريبة.

نظر القرين نحو خليفة نظرة استهزاء واحتقار لغباء فكره البشري قبل أن يقول:

- بالطبع لا. فليس في مقدور أحمق من بني جنسكم أن يقتل فارسًا مغاورًا من بني جنسنا, ما بالكم إن كان ذلك الفارس دنهش!

- طب كمّل يا قرين, إيه اللّي حصل؟

سأل سمير مستحثًا القرين على التكملة وعدم الالتفات إلى تلك المقولات الحمقاء.

ليكمل القرين حديثه:

- العازف وقف بين مقتل المقرضي وبين دنهش, وبات هو أول شخص؛ بل أول مخلوق في العالم استطاع أن يثني دنهش عن شيء ينوي فعله.

- وأنقذ المقرضي, صح؟!

سأل ياسين. وأكمل القرين حديثه:

- بل قتله حتى يقدّم الولاء والطاعة إلى الملك رقيائيل ودنهش بالتأكيد.. واشتعل بيت ذلك الساحر الذي كان يحدث بداخله كلّ تلك الأشياء من كتب سحر وعهود وطلاسم حتى أصبح كتلة من النار.

صمتَ القرين عن الحديث تلك المرة برغبته هو, وليس بسبب أن أحدهم قد قاطع كلامه، ليحثّه سمير على تكملة ما حدث بلهفة:

- أنت سكتّ ليه؟ كمّل إيه اللّي حصل؛ الواد مات واللّا إيه بالظبط اللّي حصل؟

استمرّ القرين في صمته وكأنّ ما يملكه من حصيلة لغوية قد نفذت, ومهما حاولوا أن يجعلوه يتحدث كان لا ينطق بأي شيء حتّى شعروا جميعًا باليأس منه.

- مممم وبعدين يا جماعة.. إحنا كده استفدنا إيه؟!

كانت تلك الكلمات من ياسين بعد أن التفتوا جميعًا للحديث مع بعضهم البعض بعد أن تناسوا وجودَ القرين معهم, وعدم مغادرته حتى الآن،

ليردّ عليه خليفة:

- أيوه يا عمّ الحج, إحنا دلوقت عرفنا إزاي بنحضّر, وعهد السليماني, وحاجات فشيخة الصراحة, لا تحرب حلو ياض يا سمير.

- عيب عليك يا اسطى هوّ أنا عمري قلتلك حاجة غلط, واللّا جبلتك حاجة وحشة!

ردّ سمير بابتسامة فخر على كلام خليفة قبل أن يقاطعهم يوسف بقلق:

- يا جماعة, أنتوا مش ملاحظين إن قرين المقرضي ممشيش لحدّ دلوقت.

نظروا جميعًا نحو القرين الذي نسوا وجوده ليجدوه مازال واقفًا بنفس المكان. ينظر ياسين إلى سمير:

- يلّا يا سمير, أنت مش قلت في حاجة هتقولها عشان يمشي بعد منخلص؟

جاء ردّ سمير بالصمت على ذلك السؤال حيث لم يكن هناك أيّ شيء يقال حتّى يغادر القرين.

- سمير, أنت ساكت ليه؟ متردّ على سؤال ياسين.

كان ذلك من خليفة الذي بدأ يشعر بقلق عارم على أثر ما سوف يحدث إن لم يكن يعلم سمير كيف يجعل ذلك القرين يغادر!

- خلاص يا جدعان, أيوه أنا مش عارف همشّيه ازّاي.

كان لردّ سمير وقعُ الصاعقة على نفوس جميع مَن كان بالمكان إلّا واحدًا، قبل أن يقترب يوسف منه ليصبح في مواجهته:

- سمير, قول إنك بتهزّر, أنت بتهزّر.. صح؟!

خرجت تلك الكلمات من يوسف, وفي نبرة صوته أمل أن يكون سمير حقًّا يمازحهم قبل أن يؤكد لهم سمير أن الأمر منتهٍ بصوت منخفض, وكأنّه يخشى أن يسمعه القرين:

- لا يا جدعان أنا مش بهزّر, واهدوا بقى خلّونا نعرف هنتصرّف ازّاي.

- نتصرّف ازّاي! الله يخربيتك.. الله يخربيتك, أنت ودّيتنا كلّنا في داهية.

قطعَ كلامهم تحركُ القرين من مكان ليقف في منتصف الغرفة, وعلى وجهه نظرة تُميت القلوب رعبًا وهو يقول:

- يبدو أنكم حمقى, ولم تقوموا بتحضير طلسم الانصراف قبل تحضيري.. هههههههه كنت أعلم انكم فعلًا حمقى, لقد أخبرتكم أن لكل شيء ثمنًا, وستدفعون الثمن.

******

والآن ماذا.. هل ستكون تلك النهاية, هل سنموت مثل المقرضي لمجرّد أنّها حماقة, ولم نكنْ على استعداد!؟ لا.. لن يحدث ذلك بكلّ تأكيد.. فأنا كنت أريد قوة مثل قوته, وليس موتًا مثل موته. لا.. لا, لن أموت..

كانت تلك الأفكار التي تدور في رأس سمير بعد أنْ شعر بغباء ما فعله من تحضير ذلك القرين وأهماله للتحذير أنّ لكل شيء ثمنًا, ظنًّا منه أن الأمر لن يتعدّى مجرد كلام لإضافة الرهبة على الكتاب ليس إلّا.

******

قرّر القرين أن الوقت قد حان لقتل هولاء الأغبياء, فهم ليس معهم خدم أو سلطان يحميهم, تحوّل القرين من صوره المقرضي إلى صورة أخرى أكثر بشاعةً وطولًا.. تحوّل إلى صورته الجنيّة, وهو مقرّر أن

يبدأ بذلك الأحمق سمير. تحرّك القرين بسرعة خاطفة على سمير لينقضّ عليه لينهي هذه المسألة..

للأبد.

******

كانت لحظة مرعبة بحق, ولكن أيّهما مرعب أكثر لسمير؛ منظر القرين الحقيقي المرعب أم اتّجاهه ناحيته بسرعة البرق لقتله. أغلق سمير عينيه متقبّلًا الأمر, وأنه لا مفرّ من ذلك. أخذت الأفكار تتلاطم بعقله في تلك اللحظة.. كأمواج بحر هائج.. أفكار مثل: هل سيتقبّلني الله, أم سيعذّبني, أهلي لن أرى أيّ أحد منهم, أمي.. ماذا سوف تفعل حينما ترى جسدي, وهل سيبقى جسدٌ من الأساس؟!!

قطعَ أفكار سمير صوتُ صراخ قوي ومرعب جعله يفتح عينيه تلقائيًّا, ولكن المفاجأة هي حينما علم مَن صاحب تللك الصرخة, فقد كان القرين, صرخَ وعلى وجهه علامات الفزع, استمرّ في قول:

- العازف حاضر, العازف سينتقم, سامحني يا عازف.

استمرّ القرين أكثر من ربع ساعة في تكرار تلك الجملة, وعلى وجهه أشد علامات الخوف والمهابة لذلك المجهول الذي يتحدث عنه. لم يفهمِ الأصدقاء من هو العازف هذا, أوَيعقل أن يكون هو الفتى الذي تحدث عنه, ولماذا يراه وهُم لا يرون ذلك العازف؟! هل هو مخفي عنهم؟ وما الذي أتى به إلى هنا؟

توقف القرين عمّا كان يقول, ثمّ نظر إليهم نظرة شماتة, ثمّ قال بعد ضحكة عالية عمّت المكان بالرعب:

- إنكم حقًّا حمقى, ستكونون لقمة سائغة في يد سيدي العازف.

ابتسم ابتسامة صغيرة قبل أن يكمل:

- ستتمنّون الموت الرحيم كلّ ليلة من أجل أن يرحمكم من ميتة على يده, ولكن سيكون دمكم في النهاية هدية للعازف الجليل.

كانت هذه آخر كلمات القرين قبل أن يغادر المكان تاركًا خلفه ثلاثة أشخاص تائهين, لا يعلمون أيّ شيء عمّا حدث. وغير قادرين على النطق إطلاقًا.. هل ما حدث كان ضربًا من الخيال, أم من السحر, أم أن هذا كان أمرًا واقعًا.. وحدث بالفعل؟!

- شباب, هوّ إيه اللّي حصل؟! هو.. هو خاف ومشي, و.. واللّا إيه مش فاهم.

قال خليفة متلعثمًا بعدما شعر أنّ ما كان يربط لسانه قد زال, ويستطيع الحديث الآن، ليأتيه الرد من سمير فيه كثير من التيه أيضًا:

- مش.. مش عارف, هو المفروض كان هيقتلنا وبعد كده اختفى ليه؟! ومين العازف ده؟

- مين العازف! سيبك من كله ده, أنا عايز اعْرف انتَ ازّاي كنت منيّمنا وقايلّنا إنك عامل حسابك هتمشّيه ازّاي, وتحطنا في موقف زيّ ده! أنت إيه... غبي.

كانت هذه الكلمات من ياسين وهو يستشيط غضبًا من حماقة صاحبه على ما فعله، لينظر سمير في الأرض خجلًا ممّا حدث, فهو لا يجد ما يدافع به عن نفسه به, لينجده يوسف من ذلك الموقف وهو يقول:

- طب يا جماعة, ممكن نهدى, الموضوع خلاص عدّى على خير وخلص, يا ريت ننسى بقى, وخلاص كده كفاية.

نظر الجميع إلى يوسف واقتراحه الغريب كيف ينسون ما حدث, وكأنّه أمر هيّن وقد مرّ مرور الكرام، قال سمير موجّهًا حديثه ليوسف- باستهزاء-:

- ده على أساس إننا كنّا بنتخانق مع شوية عيال بلطجية في السبتية! أنت عبيط يا ابني.

نظرَ يوسف إلى سمير بغضب من نعتِه بتلك الألفاظ, ليردّ عليه ياسين بغضب بدلًا منه:

- وربنا ما فيه عبيط غيرك هنا, لا وكويس يا حلو إنك عارف إننا مكناش بنتخانق, ده جن وكان عايز يموتنا!

- يا جماعة, ممكن تهدوا وتبطّلوا خناق وخلّونا نعرف نتصرف.

كانت تلك الكلمات من خليفة الذي وقف صامتًا لا يدري ماذا يفعل وهو يشاهد أصدقاءه وهم يتقاتلون ليقرّر التدخل بعد أن فرغ كلّ منهم من صبّ غضبه على الآخر، ليكمل:

- دلوقت القرين قال غنه ينتقم... وكان هيعمل كده فعلًا, ليه مرّة واحدة خاف وبعدين انبسط وبعدين مشي! ثمّ مين العازف ده؟ وليه كان بيكلّمه وكأنّه بينّا؟!

انتبهوا جميعًا إلى أمر ذلك الشخص المدعو بالعازف.. مَن يكون, وهل هو بشري الآن ثمّ يتّخذ شكل جنّي, أم ماذا؟!

- أكيد العازف ده هو الواد الصغير.

قال ياسين, الذي شعر بالتأكيد أنه يقصد الفتى الصغير, ولكن لمَ يتواجد هنا؟ جاءه الرّد من يوسف بسرعة غريبة أثارت ريبة الكل:

- أكيد لا يعني..

ثمذ أكمل سريعًا, ولكنّه يبعد الشبه عن العازف نفسه:

_لأنّه لو العازف هنا أكيد مكنش هيخلّي القرين يفضحه كده.. يعني بالعقل كان قتله.

- عنده حق.

قال ياسين وهو يحرّك أصبعه اتجاه يوسف وكأنّه يدعم قوله بحركة يده، ليكمل:

- أكيد في حاجة غلط.. وبعدين إيه حكاية عهد الدم دي كمان, المقرضي ده غريب والأغرب كمان هو العازف ده.

ثمّ التفت إلى يوسف الذي كان قد سرح في شيء ما، وقال بلهجة استفهام:

- يوسف, أنت بتقرى كتب كتير, صح؟

ليستغرب يوسف كيف علمَ ياسين بذلك!

- آه يا ياسين, بسّ عرفت منين؟

- مش محتاجة يعني, طالما عارف لافت كرافت يبقى أكيد بتقرأ كتب ورويات, وبعدين أنت دحّيح, يعني أكيد بتحب قراية.

ليدعم وجهة نظر خليفة وهو يقول:

- عندك حقّ ياض يا ياسين, هوّ فعلًا شكله دودة قراية.

تجاهل ياسين مزحة خليفة التي كانت في غير وقتها, وأكمل حديثه:

- بصّ يا يوسف حاول على قد ماتقدر تفهملنا, إيه موضع العازف ده.. أكيد هتلاقي حاجة في الكتب, و... وركّز على الكتب اللّي بتتكلم عن السحر وكده.

- حاضر, هعمل كده.

قال يوسف وكأنّه جندي حرب يتلقى الأوامر من قائده، قبل أن يقول في عجالة:

- طيب... أنا لازم أروح على أوضتي دلوقت, هتلاقي كلّ السكن سمع الهبل اللّي حصل هنا أصلًا, والمشرف زمانه جاي, أنا همشي بقى.

أنهى يوسف كلمته واتّجه مباشرة نحو الباب مغادرًا غرفة ياسين إلى غرفته ليستريح، في حين أكمل ياسين بعد مغادرة يوسف:

- أنا شايف برضه يا شباب إنّنا كلنا محتاجين نرتاح, يلّا كلّه يروح.

اتّجه خليفة وسمير إلى خارج الغرفة بعد أن أصرّ الأخير أن يوصل خليفة إلى أقرب نقطة إلى منزله, في محاولة منه للهرب من المواجهة مع ياسين. أخذًا يتحدثان في كلّ شيء, إلّا الحديث عمّا حدث منذ قليل, وكأنّهما اتفقا على أن يتناسى كلّ منهما ما حدث.

****

الآن, هو بمفرده في منزل هولاء البشر بعد أن كشف لهم جزءًا صغيرًا من عالم كبير محيط بهم وهُم لا يعلمون. هو الوحيد الذي يعلم؛ لأنه من الخواص, وقريبًا سيكون لهم الشرف بأنهم سيساعدونه على تنفيذ النبوءة, سيساعدونه بموتهم.

قطعَ حبلَ أفكاره استشعارُه بوجود كيان قوي يحيط به، قبل أن يخرج دنهش من ظلام الغرفة..

- أحسنت عملًا أيها العازف, يبدو أنك سوف تصل إلى مبتغاك قريبًا.

كانت تلك المقولة من دنهش بعد أن تجسد في هيئته المعروفة، ليجيب عليه العازف وهو غير آبهٍ لا بكلامه ولا بوجوده:

- بالتأكيد سأصل.. بل لقد وصلت قبل ميلادي, أنا العازف, وجميعُ العالم سوف يكون خاضعًا لي, سواء البشر أو الجن. أول خطوة لتمهيد النبوءة قد نفّذت.. أول خطوة من آلاف الخطوات.

أنهى كلامه بنظرة شرّيرة مخيفة نحو الفراغ وهو يتخيل مستقبلًا ماذا سوف يكون له من شأن عظيم.

- قد استطعت أن تخدعهم بعد أن جعلت قرين كلّ منهم يوعز لصاحبه أنك من خير الأشخاص وأطيبهم ممّا جعلهم يلتفّون من حولك.

لم يعلق العازف على ما قاله دنهش, وكأن الأمر هيّن, أن يتحكم في مشاعر وعقول الناس, بل وعقول الجن أيضًا.. أمر عجيب أن يكون لديك كلّ تلك القوة والقدرة, فأنت من طلبته النبوءة, أنت الأقوى في العالمين, أنت العازف، ولكم كانت حمقاء تلك النبوءة حينما ظنت أنه سوف يكون خادمًا مطيعًا لأحد الملوك.. العازف لا يخدم أحدًا؛ فالكلّ خدّامه.

- والآن أيها العازف, ما الخطوة التالية؟

قطعَ دنهش بتلك الجملة أفكار العازف المسترسلة، ليتحرك الآخر بهدوء شديد نحو الشرفة, وينظر من خلالها على سمير وخليفة

الواقفيْن بالأسفل قبلَ أن يقول, وبنبرة ونظرة كأنه جمع شرَّ العالم فيهما:

- مممممم.. حسنًا, أيّ منكم سوف يكون أضحية العازف الأولى؟ ولكن دعونا نلعب قليلًا في بداية الأمر.

ليتبع حديثه بضحكة عالية ترسل الرعب في القلوب.

****

اليومُ الأوّل

الأضحية الأولى

استيقظَ سمير في صباح اليوم التالي على أثر نومته بعد عودته من إيصال خليفة.. ليجد ياسين نائمًا، ولكم أسعده أنه كان نائمًا حين عودته؛ فهو غير قادر تمامًا أن يستمع إلى توبيخه, أو أيّ كلام يخصّ ليلة البارحة، قبل أن ينتبه إلى وجود أمر غريب؛ فهو ليس في غرفته في السكن, بالتأكيد تلك ليست الغرفة، وجد نفسه في غرفة مظلمة بشدة, لا يستطيع أن يرى ملامحها أو حتى جدران الغرفة من شدّة الظلام الذي بها. أخذ سمير يحاول أن يتحرك في المكان محاولًا التعرّف عليه, وهذا كان في غاية الصعوبة..

- سمير, أنت يا واد يا سمير..

تسمّر سمير في مكانه حينما سمع صوت والدته وهي تناديه من بعيد, وأخذ يتحدث إلى نفسه والصدمةُ تشلّ أفكاره, ويتساءل هل هذا حلم, أم أنه قد جُن, أم أن ذلك كان مجرّد تخيلات لأنه لم يتحدث إلى والدته منذ فترة؟!

- يا سمير, مبتردش ليه؟

قطع فكره صوتُ أمه مرّة أخرى ليؤكد له أن الأمر ليس تخيلات إطلاقًا, وإنّما هو حقيقة

- أيوه.. أيـ. أيوه يا ماما, أنا هنا أهو.

كان الردّ من سمير على أمّه بتلقائية لا تتناسب مع حيرته في ذلك الوقت، ولم تمرّ ثوانٍ حتى تغير المشهد بأكمله, فتحوّل من تلك الغرفه أو المكان المظلم إلى بيته في السلوم، وكان كاملًا بكل تفاصيله ورائحته, وكأنّه حقًّا في بيته. لم يستوعب سمير ما حدث فأخذ ينظر حوله في المكان الذي كان صالة منزله في السلوم, وأخذ يتحسّس كلّ شيء وكأنّه يتأكد أن كلّ هذا حقيقة..

- أنت يلا, مش أنا كنت بنده عليك!

نظرَ سمير باتجاه المطبخ الذي كان يأتي منه الصوت ليجد أمه تقف أمامه, وعلى يدها آثار من عصير الطماطم على إثر طبخها لإحدى الطبخات المصرية. فغرَ سمير فاه وهو غير مصدّق ما يراه أمامه، قبل أن يقرّر أن يقف ويذهب بخطوة بطيئة ومتردّدة ناحيته أمه وقال لها بعد أن وقف أمامها:

- هو.. هو... ده انتِ يا ماما بجد!؟

لتنظر إليه باستغراب شديد لما يقول قبل أن تقول مستنكرة ما قاله:

- إيه يا واد! أنت اتجنّنت واللّا إيه.. أيوه أنا بجدّ, ما لك؟!

نظر سمير حوله بسرعة كأنه يتأكد أنه حقًّا في البيت قبل أن يسأل والدته:

- ماما, هو أنا جيت إمتى من الجامعة؟

نظرت الأم بعدم فهْم قبل أن تجيب وهي تتحرّك عائدة للمطبخ:

- جيت امبارح, وبعدين بلاش غلبة, وجهّز السفرة عشان عملالك الأكل اللّي بتحبه.

لم يفهم سمير شيئًا، ولكن هناك صوت في داخله جعله ينصاع لأوامرها وأخذ يفكر.. متى عدت إلى هنا، لقد كنت منذ قليل في الغرفة, ماذا حدث, وكيف حدث؟

قطع حبل أفكاره هذه المرة صراخُ والدته, كانت صرخة ألم.. وكأنها قادمة من أعماق الجحيم.

****

فُزع سمير بشدة على أثر تلك الصرخة واتّجه بكلّ ما أوتي من سرعة نحو المطبخ ليرى ما لم يكن يتوقعه.. المشهد الذي مهما مرّ على حياته من سنين لن ينساه أبدًا؛ والدته على الأرض..

بلا....

بلا رأس.

تسمّر سمير في مكانه لا يدري ماذا حدث, أو كيف!

استمرّ سمير على هذا الحال ما يقارب العشر دقائق, يتمنّى أن يستيقظ من ذلك الكابوس المرعب, بل يتمنّى أن يكن كابوسًا. حرّك سمير قدمه- بعد مقاومة شديدة من عقله لعدم تصديق الأمر-, ليقترب من أحد أركان المطبخ, ويجلس جلسة القرفصاء, وهو ينظر إلى جثمان والدته غيرَ مصدق ما حدث.. هل هذا حقيقي؟ هل حقًّا ماتت؟! هل حقًّا لن يراها مرّة أخرى.

شعر سمير بوجود حرارة غريبة في المكان لم يعرْها اهتمامَه في بداية الأمر، حتى أخذ يشعر بوجود شخص ما بجواره, أخذ يلتفت حوله وجسدُه تنتابه القشعريرة جرّاء كلّ تلك الانفعالات المتتالية, حتى وقع

بصرُه عليه, هناك بالقرب من أحد الأركان الغائب عنها النورُ في المطبخ.. كان يقلّده في جلسته, القرفصاء..

إنّه المقرضي.

******

أخذ المقرضي ينظر إليه وفي عينيه كلّ نظرات الشّر والشماتة ممّا هو فيه، استمرّ على هذا الحال قرابة الخمس دقائق قبل أن يقف, ويتحرّك خطوتين إلى جانب الجثمان, ويجلس بجواره وهو يقول ويحرّك رأسه بين الجثمان وبين سمير:

- عهد الدم باقي, والأضحية الأولى ستكون أنت أو أحدًا من دمك... اختر...

أنت..

أو دمك.

كان هذا آخر ما سمعه سمير قبل أن تسودّ الدنيا في عينيه ويفقد الوعي. قبل أن يستيقظ بعدها بمدّة لا يدري كم كانتح ليجد ياسين يجلس بجوار سرير السكن, ويقف بجانبه المشرفون وشخص آخر لم يره سمير من قبل, ولكن يبدو ممّا يرتدي أنه طبيب..

- حمدًا لله على السلامة يا بطل, أنت كده بقيت عال قوي.

قال الطبيب وعلى وجهه ابتسامة لطيفة في محاولة لبثّ الطمأنينة إلى قلب سمير، وهذا الأخير غير مدرك أين هو, وماذا حدث, هل كان ذلك حلمًا أم ماذا؟ هل هو في السكن أم في القرية؟

حاول أن يقف من مكانه, ولكنّه شعر بإرهاق شديد يعتريه, فقرّر عدم متابعة المحاولة بعد أن منعَه الطبيب من ذلك. نظر حوله قبل أن يقول بتعب شديد موجّهًا كلامه للجميع, وبالأخص ياسين:

- أنا فين, وإيه.. إيه اللّي حصل؟

اقترب ياسين إلى صديقه, ليجلس بحواره ووضعَ يدَه على يد صديقه محاولًا أن يطمئنه وهو يقول:

- متقلقش يا معلم, أنت بخير الحمد لله, أنت بس تعبت شوية, أنت مش فاكر أيّ حاجة؟

- لا يا ياسين مش فاكر, أنا كلّ اللّي فاكره إني رجعت بعد ما وصّلت خليفة, وطلعت نمت, و...

تذكّر سمير ما شاهده عن أمّه قبل أن ينفعل ومحاولة التغلب على تعبه والوقوف، الأمر الذي استغربه ياسين وأخذ يحاول أن يثنيه عن ذلك:

- سمير, أنت بتعمل إيه؟ اهدى.. أنت لسه تعبان رايح فين؟!

_أمّي, أمي يا ياسين هتموت.. ده إذا مكانتش ماتت, لازم ألحقها.

خرجت الكلمات من سمير بأشدّ علامات ونبرات القلق والخوف على والدته, وعيناه قد فاضت بالدموع وهو يتّجه محاولًا أن يرتدي ملابسه ليذهب إلى والدته في الحال.

استطاع ياسين- بعد عناء طويل- أن يهدّي من انفعال سمير, ويجعله يعود إلى الفراش بعد أن أقنعه أنّه لم يكن سوى مجرّد حلم ولم يحدث شيء لوالدته, بعد أن حكى له سمير ما رآه, بعد أن غادر الطبيب والمشرف بالطبع, وتأكيدًا لكلامه اتّصل ياسين بوالدة سمير الذي لم يهدأ حتّى تحدث معها واطمأنّ عليها بعد أن شعرت هي الأخرى أنه ليس بخير, فاضطرّ أن يخبرها أنه متعب قليلًا, وكان يريد الاطمئنان عليها, لتكمل المكالمة بالدعوات والحوقلة والبسملة في محاولة الحفاظ على ابنها البعيد عبرَ هذه الكلمات البسيطة لينهي معها المكالمة ويتّجه بنظره إلى ياسين:

- ياسين, انت فاهم إيه اللّي هيحصل؟

- سمير, اهدى شوية, ده.. ده مجرد حلم.

- والله حلم, واللّي كان هنا ده برضه حلم, والقرين وكلامه عن العازف حلم.

سكتَ ياسين قليلًا مفكّرًا, فهو كان يعلم في قرارة نفسه أنه لم يكن حلمًا, فقد أراد تهدئة صديقه، قبل أن يكمل:

- الموضوع بقى قلق يا سمير, هنعمل إيه؟!

- والله! بقى قلق! لا حقيقي متشكّرين على المعلومة.

قال سمير بنبرة استهزاء على قول ياسين فهو لم يضف شيئًا سوى الغضب لصديقه المبتلى بما رآه، ليكمل حديثه بهدوء بعدَ أن شعر أن ياسين استاءَ من تلك الطريقة:

- ياسين, أنا شفت أمّي مدبوحة قدّام عيني, يعني الموضوع بالنسبالي مش قلق, ده رعب.

تحرّك ياسين من مكانه ليتجه إلى أحد الشبابيك في الغرفة، قبل أن يلتفت إلى صديقه وكأنّه تذكر أمرًا مهمًّا, وقال:

- بقولّك يا سمير, هو انتَ جبت منين طريقة تحضير القرين ده؟!

- بتسأل ليه يعني؟

- قول بس, ماهو أكيد المكان اللّي انتَ جبته منه أو الموقع, أو مش عارف جبته منين هيفهّمنا أيّ حاجة.

- جبتُه من كتاب كان معايا, ومتسألش أنا جبت الكتاب منين عشان أنا مش طايق نفسي.

حاول سمير أن يستغلّ ما مرّ به حتّى يتوقف ياسين عن تلك الأسئلة, لكن يخشى أن يسير الحديث إلى النقطة التي لا يتمنّاها، وقتها سيحدث ما لا يحمد عقباه.

اقترب ياسين من سمير بعد أن شعر في نبرة كلامه أنه يحاول التهرب من أمر ما, فهو حينما يحاول أن يخفي أمرًا ما.. يفتضح أمره أكثر وأكثر. جلس ياسين بالقرب منه قبل أن يقول بطريقة ضابط مباحث متمرّس يضغط على مجرم مبتدئ:

- مممممم.. طب بُص, قبل ما نتكلم في أيّ حاجة, الكتاب جبته منين يا سمير؟

جاءه صمتُ سمير ردًّا عليه وهو في قرارة نفسه يلعن نفسَه ألف مرّة على افتضاحه..

- سمير, افهمْ شويّة, أنت لازم تقولّي جبت الكتاب منين عشان هوّ ده اللّي هينقذنا, يا إمّا مش بعيد أمّك تموت فعلًا.

كانت تلك الجملة الأخيرة هي القشة التي قصمت ظهر البعير, فتهاوت على أثرها جميعُ حصون سمير ليجيب بتردّد:

- جبتُه من... من أوضة يوسف.

- من وراه ضهره, صح؟!

قال ياسين وهو يتمنّى في قرارة نفسه أن غباء سمير لم يصل إلى تلك الدرجة, ولكن إن وصله فكيف سيواجه يوسف الآن بعد أن اقتحم غرفته وسرقها.

جاء ردّ سمير بالصمت تأكيدًا على ظن ياسين الذي انفجر قائلًاك

- أنت متخلّف يلا! لا.. لا, بجدّ أنت إنسان حقيقي متخلّف, يعني إيه تدخل عند الراجل وتاخذ حاجة منّه, دلوقت أنا هعمل إيه, هتنيل أعرّفه الموضوع ازّاي؟,ثم...

صمت ياسين متذكّرًا أمرًا كان غائبًا عن ذهنه بسبب الغصب قبل أن يكمل ويقول:

- الكتاب فين يا سمير, قوم هاته.

نظر سمير له وهو يعلم أنّ الإجابة سوف تكون صادمة لياسين أكثر من صدمة من مكان جلبه للكتاب.

- متخلّص يا عمّنا الكتاب فين؟

كان السؤال من ياسين مستحثًّا سمير على النطق السريع؛ لعلّه ينهي الموقف على خير، قبل أن يردّ الآخر الردّ الصادم, والذي جعل ياسين على أثره صامتًا لأكثر من دقيقتيْن من أثر صدمته ممّا قال قبل أن

يكمل بهدوء منافٍ تمامًا ما كان عليه منذ قليل مع بعض الحيرة وعدم التصديق:

- إزّاي.. يعني... يع يعني ازّاي.. ضاع ازّاي يا سمير؟!

قبلَ أن يجيب سمير وهو يعبث بنظره في الغرفة متحاشيًا أن تلتقي عيناه وعين ياسين

- يعني ضاع! كان في الدولاب بعد اللّي عملنا, اتبخّر, ملقتهوش ودوّرت عليه في كلّ حتة ملقتهوش.

نظرَ ياسين حوله في الغرفة وكأنّه يتمنّى أن يقع نظرُه على الكتاب, قبل أن يعود مرّة أخرى بنظره إلى سمير ويقول:

- بصّ.. إحنا هنروح ليوسف دلوقت, ونقولّه اللّي حصل.

ليقاطعه سمير برعونة وبسرعة:

- لأ طبعًا مش هروحله, أنت مجنون يا ياسين واللّا إيه! عايزني أروح للواد واقولّه إنّي سرقت الكتاب من أوضته وضيّعته كمان؟!

- اتنيّل.. اتنيّل واقعد واتهدّ عشان مش ناقصة هبل وعصبيّة, إحنا هنروحله ونحكيله لأنّه أكيد هو قرأ الكتاب وعارفه.. أنا مش عارف هو مشكّش ليه, ولا قال إنّه سمع عن الكلام ده قبل كده واحنا بنعمل الموضوع, المهمّ دلوقتِ إننا نروحله, واللّا حضرتك عندك حلّ تاني؟!

لينهي جملته بالصمت مؤيدًا بعد أن أغلق عليه كلّ المنافذ للهرب من تلك المقبلة.

****

استغرب يوسف من قدوم أحد إليه في ذلك الوقت؛ فذلك وقت نزول الطلاب للغداء في السكن, الذي لا يرغب به أغلب الطلاب لسوئه بكلّ تأكيد, فهو طعام في سودويّة كتابات إدجر آلان بو, وفي رعب كتابات لافت كرافت!

فتح يوسف الباب ليتفاجأ بجيرانه وأصدقاء في السكن والجامعة, أدخلهم بعد ترحيب كبير منه لهم, فهو لا يزوره أحد من الأصدقاء من قبل, بل لم يكن له أصدقاء من الأساس!

- إزيّكم يا جماعة؟ واحشنّي الصراحةو معلش أنا مظهرتش من ساعة الموضوع, كنت بذاكر وكده بقى, صحيح هوّ انت كويس دلوقت يا سمير, السكن كلّه بيتكلم على الدكتور اللّي كان عندك.

نظرَ سمير إليه نظرة الطفل المذنب الذي يحاول أن يداري ذنبه عن والدته وقال:

- أنا كويس الحمد لله, المهم دلوقت إن...

- اقعد يا يوسف, اقعد عشان في حاجات مهمة عايز أكلّمك فيها.

قاطع ياسين بسرعة حديث سمير الذي كان سيضع الموقف في أزمة كبيرة.. ليكمل حديثه موجّهًا ليوسف الكلام بعد أن جلس أمامهم:

- بُص يا جو, أنت طبعًا عايز تعرف إيه اللّي حصل يوم الجلسة, صح؟!

لم يعطِ ليوسف فرصة للرّد ليكمل ياسين كلامه:

- إحنا بقى يا جو عشان نعرف الكلام ده؛ محتاجين كتاب كان موجود على النت بيتكلم عن الكلام ده, وبما إنّك بتقرى كتير وكده أكيد تلاقيه عندك, هو الكتاب اسمُه نور البيان في الجلب والإتيان.

فهمَ سمير ماذا ينوي ياسين أن يفعل, كانت تلك هي الطريقة الأمثل حتى يحفظ ماء وجهه.

سكت ياسين عن الكلام منتظرًا ردّ يوسف الذي باغته, وقال:

- على فكرة يا ياسين, هو أنا طبعًا عايز اعرف كلّ حاجة عن اللي حصل, بسّ مظنّش إني أقدر أفيدك.

- ليه! أنت مش عندك الكتاب ده؟

أكمل ياسين كلامه مستغربًا من ردّ يوسف هل قد علم بضياع الكتاب, أم علم من أخذه ويتلاعب بهما؟ كلّ تلك الأفكار كانت تدور في رأس ياسين ليجيب يوسف عن تسائله:

- لا معنديش الكتاب ده؛ لأني مبحبش القراية أصلًا, ولا عمري حبّيتها. أنا آه ممكن أعمل "سيرش" عن شخصيات.. عن مواضيع, إنّما اقعد واقرى كتاب كامل.. لا مش أنا.

كان وقع الرّد على نفوس الأصدقاء كالصاعقة، قبل أن يتسرّع سمير ويقول:

- إزّاي يعني! أومّال كلّ الكتب اللّي كانت عندك وشفتها دي إيه؟

- كتب, كتب إيه! أنا معنديش كتب خالص, وشفتها عندي إمتى؟!

تدخّل ياسين بعد أن أفصح سمير بأكثر مما

ينبغي:

- يعني أنت متأكد يا جو إنك ملكش في القراية صحّ كده؟!

استغرب يوسف ممّا يحدث, وشعر أنّ هناك أمرًا ما, ليرد:

- لا معنديش.. هو إيه اللّي بيحصل بالظبط؟!

ليجيبه ياسين بسرعة:

- لا ولا حاجة, إحنا بس قلنا بما إنك دحيح وبتحبّ المذاكرة ةالقراية؛ فأكيد بتقرى كتب وممكن نلاقيه عندك, فقلنا نستفسر.

هدأ يوسف بعد أن شعرَ بالغضب من تلاعب ياسين بالكلام معه, وقال بهدوء:

- لا يا ياسين أنا مبحبّش اقرى حاجة غير في الهندسة وبس.

- ماشي يا باش مهندس, هنمشي احنا بقى.

أنهى ياسين جُملته بوقفة هو وسمير متجهيْن للباب قبل أن يستوقفهما يوسف وهو يقول:

- ياسين, الموضوع اللّي احنا عملناه ده مش هيخلص غير بالدم, بدمنا إحنا يا ياسين!

التفتَ له ياسين على أثر ما قاله واقترب منه وعلى وجهه نظرة جديّة على ما قاله, فهو لم يخبرْه أيّ شيء عمّا حلم به سمير..

- يوسف, أنت ليه بتقول كده! أنت حلمت بحاجة؟

- بحاجة؟! أنا من امبارح وانا عمّال احلم, وانا صاحي وانا نايم كمان, أنا مش عارف أفرّق بين أنا نايم واللّا صاحي. ياسين أنا اتكلمت معاك لحد لدلوقت أكتر من عشر مرّات, أنا مش عارف هي دي كمان حقيقة واللّا حلم.

كان يبدو من نبرة يوسف القلقُ والتوتر الشديد, يبدو أنّ يوسف هو الآخر لم يقضِ ليلة هانئة بعد ما حدث..

- يوسف, طيب هو أنا قلتلك حاجة في الحلم؟

- آه, أيوا يا ياسين كنت بتقولّي إن عهد الدم باقي, وحاجات زي كده. وإنّ يا انا يا أهلي, وإني بالذات هيبقى ليّا نصيب الأسد من العذاب... بصّ, أنا مش خايف لا من الموت ولا من اللّي ممكن اشوفه.. أنا كده كده طول عمري عايش لوحدي, حتى مع أمي كنت عايش لوحدي.. فمش فارقة.

لم يجد ياسين ما يقوله ردًّا على ما قاله يوسف, وكأنّه يفضّل أن ينهي أمرًا عن الانتظار, وكان الموت سوف يريحه من عذابه لنفسه. أشد عذاب هو ذلك العذاب الذي لا تستطيع أن تخبر أهلك به.. والعذاب الحقيقي هو أن أهلك لن يتفهّموا أنّه عذاب.

اتجه ياسين مع سمير ناحية الباب بعد أن قرّر أن لا شيء سوف يهون على ذلك البائس غير أن يبحثوا عن الكتاب الذي سوف يخلّصهم من الموت.

دخل ياسين إلى غرفته وهو يجرّ قدميْه, وخلفه سمير الذي بمجرّد أن أاغلق الباب قال وكأنّه كان يكتمه في داخله:

- ياسين, الواد ده بيكذب, عليّا النعمة بيكذب. أصل.. أصل ازّاي!! إزّاي. أنا داخل بنفسي وشايف الكتب بتاعته كانت موجودة في كلّ مكان.. كلّ مكان, الأوضة مكانتش فاضية كده خالص.. أكيد هو عارف إنّي خدت الكتاب وعايز يسيبني عشان اموت.

قال ياسين وهو ينظر إلى الفراغ:

- لا يا سمير, الواد ده مش بيكدب.. لو ركزت هتلاقي إن الواد ده أبيض صافي تمامًا, اللّي زي ده مبيعرفش يكدب.

- أقسم بالله أنت مخدوع فيه.. الواد ده مش مريح, وهتقول إن سمير قال.

قام ياسين من مكانه حتّى يجلب الهاتف ليبحث عن ذلك الكتاب, ومحتواه على شبكة الإنترنت, ليجيب على كلام سمير, مُكملًا حديثه:

- هنشوف, هنشوف يا سمير.. فكّرني باسم الكتاب تاني عشان أنا كلّ شويّة أنساه.

- هو.. هو اسمُه كان.. نور البيان تقريبًا. أيوه افتكرت, نور البيان في الجلب والإتيان.

أخذ يردّد الاسم في ذاكرته, وفي كلّ مرّة يأتيه إحساس مُختلف عمّا قبل.. اسم جميل, لكن مازال مرعبًا, كأنّه يخبرك من الاسم أنِ احْذر, فأنا مليء بالسّحر.

بدأ "السّيرش" على محرّك البحث الشهير في ذلك الوقت عنْ اسم الكتاب أو أيّ شيء يخصّه, ولكن لا يوجد أيّ شيء, ولا معلومة واحدة عن أنّه يوجد كتاب بذلك الاسم!

- إزّاي يعني! لا ما انا متجنّنتش لسّه, الكتاب كان في إيدي, يعني إيه مفيش كتاب بالاسم ده؟!

كانت الكلمات من سمير الذي غلبه توتره وقلقه ممّا يحدث حوله, فالأمر في غاية الغرابة, في الأوّل الشخص الذي أخذ منه الكتاب لم يقرأه قط, ثمّ الكتاب نفسُه غير متواجد, لولا وجود ياسين معه, وأنّه حضرَ التحضير وكلَّ شيء لظنَّ أنّه قد جُن رسميًّا, وأن كلّ ذلك لم يكن سوى تهيّئات.

- مش عارف يا سمير.. طيب يمكن يكون... أنا مش قادر افكّرز

قالها ياسين وهو يُلقي بجسده على أقرب كرسي له بعد أنِ يئسَ تمامًا من أن يجد ذلك الكتاب أو أيّ حلّ له. ارتفع رنينُ هاتف ياسين الذي أفزع الاثنين لحالتهما التي بها قبلَ أن يجيب ياسين ليجد خليفة يردّ عليه وهو منهارٌ يبكي, ويطالبه أن يأتي إليه على الفور. لم يتأخّر ياسين؛ بل اتّجه على الفور لتغيير ملابسه..

- خليفة ما له يا ياسين؟ حِلِم هو كمان واللّا إيه؟!

- معرفش.

جاء الردُّ من ياسين بطريقة استسلامية, وكأنّه استسلامٌ لتلك القوى الخفية التي تتلاعب بهم كما تريد قبلَ أن يلتفت بعدَ أن ارْتدى قميصه نحو سمير ليقول بإصرار:

- بسّ هعرف, هعرف يا سمير ومحدّش هيجراله حاجة منكم خاالص.

اقترب سمير من ياسين ليضمّه بقوة, وكأنّه يودّعه, ممّا جعل ياسين يستغرب؛ فسمير من الشّخصيات التي لا تظهر مشاعرَها بسهولة؛ بل

يجعل دائمًا ما يحيط به ويعلمه أصدقاؤه أنّه لا يهتمّ بأي شيء, ولا يحزن, ولا تبدو عليه أيّ مشاعر, دائمًا ما كانوا يحسدونه على ذلك الأمر, مُطلقين عليه لقب (سمير الرايق)... وحينها كان يبتسم لهم, ويثني على نفسه أنه قوي وأنّهم ضعفاء، ولكنْ لم يعلم أحدٌ منهم أنه كان أضعفَهم, فقط كل ما كان يصدر منه من أفعال لم يكن سوى غطاء حتى لا يشعر أحد بضعفه هذا.

****

وصل ياسين بابَ منزل خليفة لتفتح والدته البابَ على أثر طرقات ياسين, وبعد الترحيب والسلامات المتبادلة اتّجه ياسين إلى غرفة خليفة الذي فزِعَ بطريقة غريبة على أثر دخول ياسين إلى غرفته, ممّا جعل الآخر يشعر بالخجل والأسف من عدم طرقه الباب قبل دخوله على صديقه بتلك الطريقة الفظّة.

- ياسين, كويس إنّك جيت. ياسين... إح... إحنا في كارثة كبيرة!

قالها خليفة وهو يجذب صديقه من ملابسه ليجلسه بالقرب من المكتب على أريكة صغيرة موجودة بداخل الغرفة, متناسيًا طريقه دخول ياسين منذ قليل, فلا يوجد وقت..

- خليفة, فيه إيه؟ أنت قلقتني جدًّا, وأنا أصلًا مش ناقص, ما لك؟ فيه إيه؟!

قالها ياسين بانفعال وتوتّر بادٍ وملحوظ عليه، ممّا أثار دهشة خليفة ليقول على أثرها:

- مش ناقص! ليه يا ياسين؟ أنت فيه حاجة حصلت معاك انتَ كمان؟!

ليستطرد ياسين بسرعة, ويجيبه حتى لا يزيد الطين بلّة؛ فخليفة في هذه الحالة لا يصح أن يخبره أيّ شيء عما حدث.

- لا, لا يا خليفة, تعبان شوية بس, المهمّ إيه اللّي حصل؟!

- هنموت.. هننر, هنموت يا ياسين. كلنا هنموت, هوّ جالي هنا, وقال لي و..و..و.. وفهمني إيه اللّي هيحصل, مفيش هروب, مفيش!

انْهار خليفة على أثر تساؤل ياسين وكأنّه كان ينتظره حتى ينفجر ويتحدث، ليتساءل ياسين باستغراب ويقول:

- جالك! مين ده اللّي جالك؟ وقالك إيه؟

ليصمتَ خليفة قليلًا قبل أن يأخذ نفسًا طويلًا, ويقول:

- دنهش, أنا هحكيلك, هحكيلك اللّي حصل.

وبدأ سمير؟!! في سرد الأمر وهو لا يستطيع تجميع جملة كاملة:

- امبارح بالليل وانا نايم على السرير حوالي الساعة ٢ بعد نُص الليل, كنت قاعد بلعب على الفون, ومرة واحدة حسّيت بصوت جاي من الحمّام, أنا طبعًا طنّشت وقلت يمكن أمي واللّا حاجة دخلت, فار أو حاجة تانية, ومحطتش في بالي, على الرغم إني كنت خايف شوية.. بس, وكأن في حاجة جوّايا بتأكّدلي إنها مش أمي, وإنها حاجة تانية, فقرّرت إني مخافش, واقوم اشوف فيه إيه! ماهو إيه يعني اللّي هيكون موجود؟! وبمجرد ما قمت من على السرير.... النور قطع؛ والدنيا بقت ضلمة كُحل, مبقتش شايف كف إيدي, بدأت أستعيذ بالله من الشيطان, بس قبل ما اكمّل الاستعاذة ظهر

دوّامة, أو.. أو دايرة, أيوه دايرة في حيطة أوضتي, وطالع منها حرارة كأنها من جهنم, أنا أوّل لمّا شفتها اتشلّيت في مكاني, ولساني مبقاش قادر ينطق, ومرة واحدة لقيت إيدي طويلة.. ولونها اسود.. وصوابعي كانت طويلة مش زي صوابعنا كده! لقيت الإيد دي بتخرج من الدايرة، أنا مبقتش عارف أعمل إيه, بقيت عمّال أدعي ربنا إني أموت دلوقت أهون من اللّي بشوفه.. أو هشوفه, ومفيش ثواني وكان طالع من الدائرة, ووقف قدامي، شكله كان اسود وطويل, ولابس لبس غريب.. عمع.. عامل زي بتوع أيام المماليك والحاجات دي, وعلى راسه طربوش أحمر, وبعدين قرّب منّي وقال لي: أنتوا هتموتوا كلكم بأبشع الطرق. وابتسم ابتسامة مرعبة جدًّا, وكمّل وقال: بس متخافوش, أنتوا هيبقى ليكم الشرف كبشر حُقراء إنكم تضحّوا في سبيل أعظم نبوءة.. نبوءة العازف اللّي هتكونوا جزء منها.. أو حاجة من جسمك هيّ اللّي هتكون كده. وزي ما ظهر فجأة يا ياسين اختفى برضه فجأة، فضلت واقف مكاني أكتر من نص ساعة وانا مش مصدّق اللّي حصل, ولا مستوعب أصلًا إن كان فيه كائن, جنّي بقى واللّا إيه.. مش عارف موجود في أوضتي, بيقولّي كمان إني هموت. صمتَ خليفة قليلًا قبل أن يستكمل وكأنّه تذكر شيئًا:

- آه.. أنا نسيت اقولّك, أنا بعد ما فقت من اللّي حصل لقيت الساعة بقت ٥ الصبح.. معرفش ازّاي, بسّ أنا عملت "سيرش" على النت على نبوءة العازف دي, ولقيت كلام غريب قوي- ده طبعا بعد صعوبة شديدة في البحث عنها-, أنا مفهمتهوش, بس اللّي قدرت افْهمه منّه إنّ في مختار من البشر عنده قدرات خاصة, وإنّ هو ده العازف, وإنّ في مختار تاني من الجن هيحكم العالم كله.. عالمنا وعالمهم لمّا يتحد مع الإنسان ده.. ازّاي بقى أنا مش عارف.. الكلام كان متّاخد من كتاب لواحد اسمه البوني تقريبًا.. مش عارف.. وأظّن إن المختار ده هو دنهش.. مش عارف، أنت إيه رأيك يا ياسين؟

أنهى خليفة كلامه موجّهًا دفّة الحديث إلى ياسين ليأتي ردّ الأخير بالصمت المبهم, فكلّ ما يشغل فكره الآن كيف سيكون ردّ فعْل سمير على أثر تلك المعلومات الجديدة, وهل هي حقًّا حدثت أم مجرّد أوهام من خليفة, ولكن يبدو أنه لا وجود للأوهام هنا!

******

خرج سمير من الشرفة التي فضّل الجلوس فيه منذ خروج ياسين مستأنسًا بالسيارات في الميدان الذي يبدو واضحًا من الشرفة, وعلى الرّغم من بُعده إلا إنه كان يستطيع أن يراه من مكانه ذلك.. وكأنّه إذا حدث مكروه له سوف يلاحظ أحد منهم- على الرغم من بُعد المسافة- وسوف يأتي للإنقاذ بكلّ تأكيد، ولكنْ تأخرُ ياسين هو ما جعله يترك وسيلة إنقاذه المزعومة ويتّجه إلى الداخل ليحاول الاتصال به, ولكن على غير العادة وجدَ هاتفه لا يلتقط الإرسال, وهو ما أثار استغرابه حيث أنّ شبكته من أفضل الشبكات المصرية الموجودة الآن, وبالإضافة أنه يوجد برج هوائي بالقرب من السكن فكيف يكون الإرسال ضعيفًا؟! بل منعدمًا!

- لا ما انا اللّي بوّظتلك الإرسال.

كان ذلك الردّ آتيًا من خلف سمير, من خلف ظهره بالتحديد, ليلتفت وهو يشعر أن هذه هي اللحظة.. لحظة النهاية... ولكن على الأقل سوف يعرف قاتله العازف..

- هاااا.. مش, مش ممكن! أنت, أنت العازف!

جاءت شهقة سمير على أثر المفاجأة التي لم يتوقعها أبدًا, فهذا هو آخر شخص كان يتوقع أن يراه في هذا الموقف, ولكن كيف... كلّ ذلك الوقت والعازفُ كان بجواره, وبالقرب منه. كانت كلّ تلك الأفكار

ترتطم بعقل سمير الذي اختلّ توازنه قبل أن يسقط على الكرسي القريب من أثر تلك الصدمة.. ليجيب العازف عليه بابتسامة هادئة قبل أن يتقدم خطوتين, ليظهر وجهه في النور, ويظهر حَوَل خفيف في عينه اليمنى، قبل أن يكمل كلامه:

- مفاجأة يا سمير مش كده, بس متقلقش أنا هخلّصك من كلّ مشاعرك دي, الخوف والاندهاش.. والقلق... وكل حاجة؛ دلوقت حالًا.

لينهي كلامه...

بتلك الابتسامة.. التي بمجرّد أن رآها سمير علم..

علم أنها النهاية...

نهايته.

*****

استيقظ جميعُ مَن في السكن على أثر تلك الصّرخات والبكاء المُفزع الآتي من غرفة سمير وياسين ليهرع الكلّ, وعلى رأسهم أمين السكان ليجدوا أبشع مشهد ممكن أن تراه عين.. وجدوا ياسين يجلس بالقرب من باب الغرفة والمفتاحُ بالأرض بجواره وهو يبكي منهارًا وأمامه على الكرسي المقابل جثة سمير.. أو الذي كان سمير قبل أن يصبح جلدًا على عظم, فهناك شيء ما قد استخلص دمه كله, وتركه وكأنّه عباءة ملقاة على الأرض, وعلى وجهه الأبيض- من أثر فقدان الدم- أشد علامات الرعب.

******

ارتفع رنينُ هاتف منزل العميد حسام الدين كتخدا، الذي نهض من سريره على أثر تلك المكالمة في ذلك الوقت المتأخر من الليل ليجيب على الهاتف حتى يُسكت ذلك الرنين الملحّ الذي أزعجه:

- إيه يا ابني.. إيه كلّ الزّن ده.. أنت عارف الساعة كام دلوقت!؟

ليأتيه صوتُ الطرف الآخر وهو بادٍ على صوته آثار الخوف والقلق من إزعاج رئيسه في الشرطة:

- أنا.. أنا آسف سعادتك, بسّ.. بسّ في جريمة قتل غريبة, ومحتاجين سعادتك معانا.

مسحَ حسام يدَه على وجهه بَملل من ذلك الأمر المتكرر, فكثيرًا ما كانوا يتّصلون به ليعلموا كيفية التصرف في تلك المواقف، ليجيب بملل:

- طيب يا ابني. ابقى سيبها على مكتبي الصبح وأنا هبقى اقولّكم تعملوا إيه.. ومتصحنيش تاني.

ليأتيه صوتُ الآخر وهو ينهي المسألة:

- لا يا افندم, سعادتك لازم تكون موجود معانا هنا.. دي... دي أوامر سيادة الوزير.

ليغلق على أثرها حسام سماعة الهاتف.. وشغفه البوليسي قد عاد ليتحكم به، ليخبره أنّ الأمر هذه المرة سوف يكون في غاية القوة. أخيرًا قضية مختلفة غير تلك القضايا التي ملّ منها, ومن رتابتها منذ أن أصبح عميدًا في قسم الشرطة في تلك المنطقة الشهيرة من مناطق الجامعات, التي لا تتعدّى قضيه التحرش من أحد الطلاب أو المشاجرة.. أو أيّ من ذلك, ولكن تلك.. يبدو أنّ الأمر جدّي.

توقّفت سيارة حسام بالقرب من إحدى دوريات الشرطة المنتشرة في مكان الحادث, والتي كانت أكثر من المعتاد, ممّا يوحي بخطورة تلك القضية. نزل حسام الدين من سيارته ليتلقاه ابنه الروحي, وتلميذُه, أحد أكفاء ضباط قسم المباحث الرائد خالد أشرفز أقبل ذلك الأخير مبتسمًا ناحية حسام بعد أن أدّى التحية العسكرية أمامه ليقول له بابتسامة جميلة:

- مساء الخير يا باشا, معلش بقى أزعجنا سعادتك, بسّ والله محتاجين خبراتك الكبيرة معانا يا باشا.

ليبتسم حسام على أثر هذه المجاملة, ويقول:

- مساء الخير إيه يا خالد! خلّيها صباح الخير بقى, إحنا بقينا الساعة أربعة يا حضرة الظابط.

ليبتسم خالد بعد أن شعر بقليل من الإحراج على إغفاله تلك النقطة، ليكمل:

- معلش بقى سعادتك, أنا هنا أصلي من بدري ومبصّتش في الساعة خالص.

ليضحك حسام على توتر خالد، ثمّ يسأله عن تفاصيل القضية وهمَا يتّجهان ناحية سلم العمارة, ليجيبه خالد وقد بدَا على نبرة صوته الحيرة وهو يتحدثك

- والله سعادتك الجريمة المرة دي غريبة قوي, المجني عليه شاب في العشرينات.. طالب في كلية الهندسة, زميله في السكن لقاه ميت على الكرسي.. بس.. بسّ الغريب إن مفيش أيّ جرح في جسم المجني عليه, وعلى الرغم من ده...

توقف خالد برهة وكأنّه يستعدّ لما سوف يقوله ليستطرد كلامه:

- مفيش نقطة دم واحدة في جسم المجني عليه!

ليتوقف حسام عن السير على أثر ما قاله خالد, ويلتفت لينظر إليه:

- إزّاي يعني يا خالد مفيش دم في جسمه, هو ده كلامك واللّا كلام الطب الشرعي! في حدّ منهم فوق أصلًا؟

- لا سعادتك, ده كلام الطب الشرعي, إحنا بمجرّد ما جينا لقيناهم هنا, واضح إن الموضوع وصل لسيادة الوزير, وكان مبلغهم قبل سيادتك.

اتّجه حسام إلى الطابق الذي يوجد به الغرفة ثمّ إلى داخل الغرفة التي كانت مليئة برجال الشرطة ورجال المعمل الجنائي الذي انشغل كلٌّ منهم في أداء عمله من رفع للبصمات, ومن فحص الجثة. اتّجه حسام إلى الكرسي الملقى عليه الجثة, والتي كان أحد الأطباء بالقرب منها يرفع البصمات محاولًا الوصول إلى أيّ معلومات عن كيف حدث القتل بشكل مبدئي. انقبض قلبُ حسام من شكل الجثة, والتي كانت اقرب لهيئة رجل عجوز, وليست لشاب, لولا أن علم سنَّه لظنَّ أنّه رجل على مشارف الموت, ولكن المفزع حقًّا هو شعر رأسه الأبيض, وأمارات الفزع على وجهه, والتي يبدو أنها قد عاشت أشد مشاهد الرعب التي حتى... لا تظهر في تلك الأفلام الأجنبية، نظر حسام ناحية الطبيب الذي كان يفحص الجثة, قال له:

- أنتوا لقيتوا حاجة يا ابني؟

ليجيب الطبيب بتلعثم:

- لا. لا سعادتك, مفيش أيّ حاجة تحدّد هو مات ازّاي, بالإضافة إنّ مفيش أيّ خدش في جسمه, أنا برجّح إنه مات بسكتة قلبية... إثر صدمة حصلت له.. بسّ الغريب هو جسمه اللي اتشفط منه الدم ده.. لحدّ دلوقت إحنا مش عارفين هو حصل كده ازّاي, واللّا الدم ده راح فين.

اقترب حسام من الجثة ليتفحصه عن قرب بعد أنْ زالت عنه الرهبة الأولى ليقول للدكتور:

- طيّب وفتحت مناخيره أو بُقه.. مش يمكن بطريقة ما نزف منها!

ليجيبه الطبيب على الفور:

- لو كان حصل كده سعادتك كنا هنلقى على الأقل نقط دم على هدومه, أو على الكرسي, أو حتى آثار دم في مناخيره من جوّه.

ليوجّه حسام كلامه إلى خالد الذي كان بجواره:

- طب والباب يا خالد فيه آثار اقتحام؟

- لا سعادتك مفيش أيّ آثار اقتحام للغرفة, ولا أيّ آثار للمقاومة من المجني عليه, كأنه كان مستسلم للّي هيحصل.

- يعني اللّي عمل الجريمة واحد معاه مفتاح الغرفة, وواضح إن المجني عليه يعرفه كويس, ومكنش مدّيله أيّ خوانة, وشكله قتلُه على غفلة... عشان كده مفيش أيّ آثار للمقاومة.

أكد خالد على كلام أستاذه ورئيسه حسام الدين بإيماءة من رأسه قبل أن يتجه ناحية ياسين المنزوي في ركن في الغرفة, وعينه لم تزغْ عن جسد صديقه المقتول, وهي مليئة بالدموع..

- ياسين, أنت كنت فين وقت وقوع الجريمة؟

ردّ ياسين وعينه لا تزال مثبّتة على جسد صديقه:

- كنت عند واحد صاحبنا اسمه خليفة.

اقتربَ حسام من ياسين وخالد يراقب حسام وهو يكمل حديثه في صمت:

- الكلام ده كان إمتى بالضبط؟

- من أكتر من ٣ ساعات... مش متذكر بالضبط من إمتى.

قرر خالد أن يتدخل في مجريات الحديث ليسأل ياسين في صرامة:

- بصّ يا حبيبي, ركّز كده معايا عايزك تحكيلي كلّ اللّي حصل من ساعة دخولك البيت لحد ما البوليس جه.

نظر ياسين إليه وكأن هذه هي المرة الأولى التي يحرك عينيه عن جسد سمير, وقال:

- أنا.. أنا جيت فضلت أخبّط على الباب كتير, وهوّ مردّش عليه, وكنت سامع دوشة الشارع فقلت أكيد واقف في البلكونة, فحاولت أرنّ عليه, بسّ موبايله مكنش بيجمّع خالص، فنزلت أشوفه في البلكونة من تحت, بسّ ملقتهوش, ولقيت الباب بتاع البلكونة مفتوح، وطلعت ولقتني واخد المفتاح وانا كنت ناسي, فتحت ودخلت.

توقّف ياسين عن المتابعة ودموعه تنهمر ويزداد نحيبه حينما استحضرَ ذلك المشهد الذي واجهه قبل أن يكمل حديثه:

- ولقيته, لق.. لقيته ميت كده على الكرسي, فضلت أصرخ وأعيط لحدّ ما السكان اللّي حوالينا اتلمّوا.

تحرّك حسام ليقف بالقرب من ياسين ليسأله مرّة أخرى:

- قول لي يا ياسين, تفتكر مين اللّي عمل كده؟!

صمتَ ياسين قليلًا, يفكر, هل يخبرهم أم سوف يجد نفسَه في المصحة العقلية قبل غياب شمس اليوم! قرّر في نهاية الأمر أن لا يخبر أحدًا أيّ شيء, فماذا سوف يقول, جني قتله!

- معرفش سعادتك, معرفش.

نظرَ حسام لخالد نظرة فهمها هذا الأخير, على أنّ ذلك الفتى يخبّئ شيئًا ما, أو من الممكن أنه يعلم مَن فعل ذلك.. وبالتأكيد سوف يتّخذ الإجراءات المناسبة معه مِن مراقبة, وما إلى ذلك.

- إيه ده! إيه اللّي حصل؟

كانت الكلمات من يوسف الذي دخل الغرفة منذ قليل في انشغال رجال الأمن الذي على الفور اتّجه ناحيته أحدُ رجال الأمن لمنعه من الدخول, ليستمرّ في ندائه على ياسين في محاولة للدخول لمعرفة ماذا حدث لأصدقائه.

- ياسيين... ياسين, خلّيهم يدخّلوني يا ياسين.

نظر حسام ناحية ذلك الفتى الذي ظهر من العدم, ثمّ اتجه بجسده ناحية ياسين..

- مين ده يا ياسين؟

نظرَ ياسين في وجه حسام, وأخبره أنّ ذلك هو يوسف جارهم في الغرفة المجاورة, وزميلهم في كلية الهندسة. أشار حسام لرجل الشرطة, الذي كان يمنعه أن يسمح له بالدخول، وعلى الفور دخل يوسف ناحية ياسين وهو يتساءل بلهفة عمّا حدث, ليأتي الردّ من الرائد خالد:

- قول لي يا يوسف, أنت كنت فين من امبارح بالليل؟!

نظر يوسف ناحية الرائد خالد, وقال له بنبرة بدَا عليها التوتر:

- أنا.. أنا كنت عند واحد قريبي, كنـ.. كنت بايت عنده.

- واسمه إيه قريبك ده؟ الثلاثي..

- اسمه حمزة عبد الغني, ابن خالتي.

اشار خالد لأحد رجال الشرطة المتواجدين ليأتي إليه ليخبره بالتحرّي عن ذلك الشخص, وإرسال استدعاء له ليُدلي بأقواله، ثمّ التفت موجهًا كلامه إلى يوسف:

- قول لي يا يوسف.. انت علاقتك بالمجني عليه كانت عاملة ازّاي؟

تلعثم يوسف قليلًا قبل أن يجيب:

- كانت كويسة سعادتك, كنّا اصحاب وزمايل في السكن.

- طيب أنت بتشكّ في حدّ يا يوسف واللّا لأ؟

نظرَ يوسف ناحية ياسين وكأنّه يتساءل هل يخبرهم أم لا, قبل أن يجيب:

- هو.. هو كان في حاجة حصلت كده... بس محدّش فيكم هيصدقها.

تحرّك حسام ناحية يوسف بعد أن أثارت انتباهه تلك الجملة ليتحرّك ناحيته, ويقول بلهفة:

- قول يا ابني, إيه اللّي حصل متخافش لو في حاجة قول وانا هحميك.

- اللّي احْنا خائفين منه سعادتك مفيش حاجة هتحمينا منه.

كانت الكلمات من ياسين وهو على حالته الصامتة.

تحرّك حسام على أثر تلك الجملة ليأخذ خالدًا ليخبره أن يجهز أيّ غرفة من غرف السكن لتكون مكتب تحقيق لحسام ليفهم من هذيْن ما هو ذلك الشيء الذي يخشيانه بتلك الطريقة.. ليخرج خالد على الفور قبل أن يعود ليخبر حسام أنّ الغرفة جاهزة للتحقيق.

خرج حسام من الغرفة وخلفه يوسف وياسين يقودهم أحد رجال المباحث, إلى أن وصلوا إلى غرفة أخرى في نفس الطابق تقع في آخره. كانت غرفة لأحد الطلبة, وقد تمّ تفريغها على الفور, ووضع مكتبٌ قديم بعض الشيء بها حتى تصبح مكانًا للتحقيق للعميد حسام الدين. دخل حسام إلى الغرفة وخلفه الرائد خالد, وجلس الأخيرُ في زاوية الغرفة تاركًا الأمر لصاحب الرتبة الأعلى ليحقق هو في الموضوع. أشار حسام لأحد العساكر ليُدخل يوسف أولًا ليتم التحقيق معه, ومن بعده ياسين وهو يخرج سيجارة من علبة سيجاره, ليداعب بها شفتيه قبلَ أن يعيدها للعلبة مرة أخرى. دخل يوسف إلى الغرفة وهو مُضطرب, وجلس على الكرسي بعد أن أشار حسام له بذلك..

- اسمك وسنّك ومحلّ إقامتك.

بدأ حسام بتلك الأسئلة الروتينية المعروفة للشرطة حتى يحثّ يوسف على الحديث, وأن الأمر الآن أخذ طابعًا رسميًّا.

- اسمي, يو... يوسف حسن, عندي ٢٢ سنة, وساكن في قرية في السلوم, وقاعد في السكن هنا طول فترة الدرسة.. الأوضة اللّي جنب ياسين.

- حلو الكلام, قول لي بقى يا يوسف إيه بالظبط اللّي حصل, أو خلّينا نقول إيه اللّي تعرفه وعايز تقوله.

- سعادتك أنا معـ.. معرفش حاجة خالص, أنا هعرف منين!

قال يوسف وهو يماطل في الحديث بعد أن أصابه الخوف من جدية الأمر, أو من أن يتمّ الزجُّ به في المصحة العقلية. تحرك حسام بجسده إلى الأمام, ونظر في عين يوسف مباشرة, وقال:

- بُص يا يوسف, دلوقت أنت قدامك طريق من اتنين, يا إمّا تتعاون معانا وتعرّفنا كلّ تفصيلة صغيرة, يا إمّا هتعرّفنا كلّ تفصيلة صغيرة بسّ ساعتها بقى هتكون كلّ حتة وكل عضمة في جسمك قدّ النملة ... أنا عندي رجالة تعرف تعمل ده كويس قوي.. شغلنا.. بمعنى أدق القضية دي الوزير نفسه مهتم بيها, فدلوقت حالًا أنا عايز اعرف كلّ حاجة.

نظر يوسف إلى الأرض ثمّ أخذ يحرك عينيه في أرجاء الغرفة متجنّبًا النظر في عين حسام, ثمّ استجمع شجاعته وبدأ في سرد كلّ ما حدث.. بالتفصيل.

******

- أنت هتستعبط يلا!

قال حسام الذي فقد أعصابه على أثر ما سمع من يوسف الذي يرتجف أمامه على الكرسي، وقف حسام من مكانه متجهًا إلى خلف يوسف ثمّ مسك بيديه كتفيه بقوة, ممّا أجفل يوسف على أثره, ثمّ استمرّ في فرك كتفيْه, وعصره تحت يديه.. أسلوب قديم ومتبع للإرهاب عند رجال الشرطة, ودائمًا ما يجدي نفعًا. قال حسام وهو محافظًا على هدوئه.. بعد تحول غريب من الغضب:

- أنا عمّال اقولك قضية مهمة, والوزير, وانت تقول لي كتاب وجن وتحضير! يعني أنا أكلم الوزير واقولّه المجني عليه اتقتل من جنّ, صحّ كده؟!

- يا باشا, والله هوّ ده اللّي حصل, ماهو عشان كده أنا مكنتش عايز اقولّك لأنك مش هتصدق.

- ولاه!

تركه حسام ثمّ اتّجه إلى الكرسي الذي يقبع أمامه ويجلس عليه, ليكمل بطريقة عصبية:

- أنا ممكن ألبّسك الليلة دي كلّها لو معرّفتنيش اللّي حصل... أنت مكنتش موجود وقت الجريمة, ولحدّ دلوقت منعرفش إن كنت عند قريبك ده فعلًا واللّا لأ! فلو مقولتش مين اللّي عملها فأنت أقرب واحد بالنسبالي يكون هوّ اللّي عملها.

- يا باشا, أقسم بالله أنا معملتش حاجة, ومعرفش أيّ حاجة غير اللّي أنا حكتهولك.

قاطعه يوسف بانفعال وخوف على أثر ما سمعه متخيّلًا مصيره الأسود الذي سوف ينتهي به إلى احد السجون إن لم يكن الإعدام.

- وأنا هعتبر نفسي مسمعتش أيّ حاجة منّك, انت هتخرج دلوقت, وشوية وهتدخل تاني, عايزك تفكر كده كويس.. وعايز اسمع كلام غير اللّي سمعته دلوقت ده, اتفضّل.

خرج يوسف وهو يبكي على أثر ما حدث وهو يتمنّى أن يهرب من المكان الآن ليذهب إلى قريته مرة أخرى, بالإضافة إلى ندمه على إخباره الضابط بكلّ شيء, ولكن لا يوجد أيّ حاجة يمكن أن يفعلها أكثر من ذلك.

******

- إيه رأيك يا خالد في الكلام ده؟

قالها حسام موجهًا كلامه إلى خالد الذي آثر الصمت والتحليل في أثناء التحقيق.

- كلام هبل طبعًا يا باشا.. بس فيه حاجة..

- حاجة إيه يا خالد, قول.

- الواد ده من ساعة ما دخل كان طول الوقت رجليه اليمين عمّالة تتهز, وده معناه إنّه قلقان وخايف جدًّا من حاجة، بس أول لمّا بدأ يحكي لسيادتك نبرة صوته اختلفت, وجسمُه مال ناحيتك وكأنّه بيستنجد بيك من اللي كان بيحكيلك عليه, بالإضافة إن جسمه مظهرش أيّ حركة أو إشارة تبيّن إنه كان بيكدب, للأسف يا حسام بيه الواد ده بيقول الحق.

نظر حسام ناحية خالد بإعجاب على تحليله لتلك الأشياء الصغيرة بتلك الدقة، ثمّ قال له وهو يوافقه الرأي:

- الواد ده يا إمّا بيقول الحق, أو ذكي جدًّا.. وعارف هو بيعمل إيه بالظبط.

- معتقدش يا باشا, الواد شكله أهبل.

- اللّي هيعرّفنا هو أهبل واللّا لأ؛ صاحبه ياسين.. أنا هدخلّه دلوقت.. وبمجرد مايخرج أنا عايزك تعملّي مراقبة أربعة وعشرين ساعة على الاثنين دول, والمراقبة تدخل معاهم الجامعة كمان.. وعايزك كمان تجيبلي كلّ المعلومات عن الناس اللّي كانت بتتردّد على الأوضة دي من أصحابهم أو أيّ حد. ولو سمير ده كان بيحب واحدة, وعلى علاقة بيها ملفّها كله يبقى قدّامي, وكمان الواد قريب يوسف ده يجيلي, ماشي يا خالد؟

- عُلم وينفّذ يا افندم.

- يالّا.. أمّا نشوف البلوى التانية.

أشار حسام للعسكري الذي خرج للتّو ليغيب قليلًا قبل أن يعود ومعه ياسين, الذي بمجرد أن دخلَ جلس على الكرسي في صمت مُطبق وكأنّه يفكر, كيف آلت الأمور إلى تلك النقطة.

- اسمك وسنك ومحل إقامتك.

نظر ياسين إلى الرائد حسام, واعتدل في جلسته ليتحدث:

- ياسين وائل, السن ٢٢, مولود في مدينة السلوم, وساكن هنا في السكن.

- إيه معلوماتك يا ياسين عن اللّي حصل لزميلك؟

وجّه ياسين نظره ناحية حسام, واقترب برأسه من المكتب ليقول:

- قبل ما اقول أيّ حاجة.. سيادتك لازم تعرف إن اللّي هقوله ده الحقيقة, ومهما حصل, ولو هتقطّعني حتت أو حتّى هتشيّلني القضية دي؛ أنا كلامي مش هيتغيّر لأنّه الحقيقة.

نظر حسام إلى وجه خالد ليجده منتبهًا أشد الانتباه لما يحدث قبل أن يعود للنظر مرة أخرى إلى ياسين ليعطيه الأمر في سرد ما حدث.

******

لم يختلف ما قاله ياسين عمّا قال يوسف كثيرًا, غير في أمور بسيطة.. ولكن ظلّ الاتفاق على أن الذي فعل ذلك هو الجني أو العازف كما قال ياسين.

- طب يا ياسين, تقدر تقولّي اسم الكتاب كان إيه؟ أقصد الكتاب اللّي استخدمه الله يرحمه سمير.

حاول ياسين بشدة أن يتذكر اسم الكتاب, فسمير كان قد أخبره اسمه من قبل:

- والله يا باشا أنا مش متذكر الاسم قوي, سمير الله يرحمه هو اللّي كان عارفه, بس على ما أعتقد, نور البيان... تقريبًا, أو علم البيان.. حاجة زي كده. هو كان حاجة البيان في الجلب والإتيان.

- طيب يا ياسين تقدر تخرج دلوقت, ويا ريت تاخد يوسف معاك وتشوف مكان تباتوا فيه النهارده لأني مظنّش إنه لما ترجعوا على

بالليل يكون المكان فضي منّنا. وخليكم جاهزين عشان هتيجوا في أيّ وقت قدام النيابة تدلوا بأقوالكم.

خرج ياسين من الغرفة بعد انتهاء التحقيق، ليتحرك خالد من مكانه ليجلس في الكرسي المواجه لحسام قبل أن يقول:

- هو سعادتك مصدّق العيال دي واللّا إيه يا باشا؟

- مش عارف والله يا خالد, كلام العيال دول ميدخلش على عيل صغير, بسّ في حاجة جوايا بتقولّي إنه حقيقة, أو فيه جانب من الصدق, طبعًا إحنا مش هنقول لسيادة الوزير على الهبل ده.

ارتفع رنين هاتف حسام ليجد الوزيرَ يتّصل به وكأنّه حضر بمجرد ذكر اسمه, لينظر إلى خالد الذي ابتسم, ثمّ يجيب على الهاتف:

- معالي الباشا, صباح الخير.

- صباح الخير يا سيادة العميد, طمنّي إيه الأخبار؟

- كلّه بخير يا باشا.. بس لسّه محتاجين شوية وقت بسّ على مانرفع البصمات من الأوضة بتاعة الواد, وتقرير المعمل الجنائي الأخير عشان يبقى كلّ حاجة واضحة قدّامنا.

- ماشي يا سيادة العميد, بس أنا عايز الموضوع ده يخلص في أسرع وقت, ومش عايز أيّ حد يعرف؛ لا من صحافة ولا إعلام, أنت طبعًا فاهم!

- أكيد سيادتك.. أكيد.

أغلق حسام الهاتف, ثمّ وقف ليتجه إلى الباب للمغادرة هو وخالد, الذي سأله إلى أين؟ فقال:

- هروح انام في أيّ أوضة هنا يا خالد, أنا صاحي من أربعة الفجر, وكمان كنت نايم متأخر, لمّا تخلصوا كلّ حاجة ابقى قولّي.

- كان الله في العون يا باشا, ربنا يقوّيك.

- ماشي يا خالد. آه بالحقّ.. ابقى شوفلي إيه حكاية الكتاب اللّي الواد ده قال عليه, إحنا مش هنمشي وراه طبعًا, بس عشان نبقى شوفنا كلّ الخيوط, وعرفني خطوات العيال دي أول بأول يا خالد, ماشي؟

- ماشي سعادتك.

****

خرج كلّا من ياسين ويوسف, الذي لم يكن يصدق أنه لم يسجَن حتى الآن بعد أن سمح لهما العميد حسام بالخروج, قال إن التحقيق مازال قيد البحث, وأيضًا ليعطي لهما الفرصة حتى يتم مراقبتهما ومراقبة هواتفهما للوصول لأي دليل.

- هاااا ياسين, والعمل دلوقت إيه؟!

قال يوسف بعد أن مضيَا أكثر من نصف ساعة صامتيْن في الطريق.

- مش عارف يا يوسف.. أنا مش قادر افكّر خاااالص, حاسس.. حاسس إني بحلم, وإن سمير عايش ممتش, أكيد مماتش.

توقف ياسين عن السير وكأنّه تذكر شيئًا مهمًّا.. ونظر إلى يوسف وقال:

- بقولّك إيه يا يوسف, أنت فيه حاجة مهمة لازم تعرفها, سمير الله يرحمه مكنش عايز يقولّك عشان منظره قدامك وكده, بس انت لازم تعرف.

- حاجة إيه؟

- فاكر الكتاب اللّي سمير كان قرأ فيه إنه هيحضر قرين المقرضي والحاجات دي؟

- آه فاكره. أمّا قلتوا لي إذا كنت اعرف حاجة عن الكتاب واللّا لأ!

- حلو قوي إنك فاكر, بصراحة كده.. الكتاب ده سمير كان واخده من أوضتك من وراك.

- إيه! كتاب إيه ده اللّي خده من أوضتي! وازّاي؟!

- بص.. بص, أنا عارف إنه غلطان, ومكنش ينفع يعمل كده أصلًا, بس خلاص اللّي حصل حصل, المهم دلوقت أنت مش فاكر أيّ حاجة عن الكتاب ده؟

- ياسين, أنت متأكد من الكلام ده؟

- أيوه يا يوسف متأكد.

- بس.. بس أنا معنديش كتب أصلًا في أوضتي!

- نعم! إزّاي يعني؟ لا.. لا.. بصّ, ماهو مش وقت تهريج ولا هزار, ركّز كده, أنت كنت سبق وقلت لنا إنك عندك كتب بتاعة هندسة وحاجات تانية, فاكر واللّا إيه؟!

خرجت الكلمات من ياسين ومعها نظرة شكّ واضحة في يوسف.. هل حقًّا يقصد أن يتلاعب بهم.. أم هل له يد في ما يحدث؟!

- يااسين, بقولك إيه أنا مش عاجبني النظرة اللّي في عنيك دي, أنا معنديش كتب في الأوضة غير كتب الجامعة, غير كده بقرأ على الفون بتاعي, بالإضافة إني استحالة سمير يكون دخل وخدِ الكتاب من أوضتي زي مابتقول لأني مبسبش أوضتي خالص من بعْد الجامعة غير يا إمّا بآجي عندكم أو أروح لقريبي, وقريبي ده أنا بقالي أكتر من شهرين مرحتلوش, وأول مرة أروح له فيها كان امبارح من بداية التيرم ده.. يعني استحالة يكون دخل أوضتي!

- معناه إيه بقى الكلام ده!

- من غير متفكّر كتير يا ياسين, أكيد سمير جاب الكتاب من حتة تانية ومحبّش يعرفك فلبّسها فيّا أنا أحسن.. وانت عارف وانا عارفُه إنّه مكنش بيطيقني أصلًا. بص.. أنا معرفش سمير جاب الكتاب ده منين, بس أرجع واقولّك إحنا لازم نعرف ونتصرّف بسرعة, محدش عارف مين اللّي هيبقى عليه الدور المرة الجاية!

- في دي عندك حق, بس هنتصرف نعمل إيه واحنا حتى منعرفش مكان الكتاب!

استمرَّا في السير وفي صمتهما, وكلّ منهما يفكر كيف يتمّ حلّ ذلك الأمر المعقد.

- أنا من رأيي إننا نشوف حتة ننام فيها الليلة دي أولًا, وبعد كده نبقى نفكر, بص تعال نروح عند ابن خالتي هو هيرحّب بينا جدًّا.. وآهو ناكل؛ إحنا مكالناش من الصبح, ونبات عنده لأني مش هقدر ارجع أبات في أوضتي بعد اللّي حصل.

كانت تلك العزومة من يوسف محاولةً منه لإنهاء ذلك الحديث الذي أصبح يخنق كلًّا منهما من كثرة التفكير.

******

وصلَ الاثنين إلى منزل حاتم ابن خالة يوسف وقتَ الظهيرة، الذي رحب بهما بشدة وإن كان مندهشًا من زيارة يوسف له ليومين متتاليين, وحينما سأل عن السبب أشار له يوسف بأنه سوف يخبره ولكن ليس الآن. وبعد أنِ ارتاح الاثنان وأكل وجبة الغداء التي كانت دسمة ومليئة باللحم والخضروات حكى يوسف لحاتم كلّ شيء حدثَ معهما منذ ظهور ذلك الكتاب وحتى التحضير إلى مقتل صديقهما سمير.

- يانهار اسوح يا يوسف, يعني ازّاي تبقى واقع في كلّ البلاوي ده ومتقليش!

نظر يوسف في الأرض وهو لا يجد ما يرد به على عتاب ابنة خالته ليرد ياسين بالنيابة عنه:

- أستاذ حاتم, يوسف أكيد غلطان طبعًا إنه محكلكش, بس صدقني محدش في إيده يعمل أيّ حاجة, أصلك متعرفش صعوبة الأمر, ومش هتعرفه غير لو تشوفه زيّنا.

نظر حاتم ناحية ياسين قبل أن يجيب:

- لا يا ياسين, أنا عارف يوسف مقالّيش ليه, مقاليش عشان إحنا مش ولاد خالة بجد, وهو الحتة ده عنده بتخليه حسّاس, ويرفض يطلبني أساعده.

- لا ثواني, يعني إيه مش ولاد خالة بجد؟!

كان هذا السؤال من ياسين ليردّ عليه حاتم:

- أنا ويوسف نبقى أولاد نفس القرية.. إنما مش قرايب دم فعلًا, بس ولاد القرية عندنا بيتقال عليهم ولاد خالة.. بس واضح إنّ عم يوسف نسي إننا أكتر من اخوات كمان.

أنهى كلمته بنظرة عتاب إلى يوسف الذي لم يحرك ساكنًا أو يردّ على أيّ من كلامه..

- طيب يا أستاذ حاتم, تقدر تقولنا لو في حاجة ممكن تساعدنا بيها.

قال ياسين وفي نبرة صوته تشبّثٌ بأمل من الممكن أن يكون لدى حاتم.

ليردّ عليه حاتم بثقة كبيرة:

- آه طبعًاأعرف.. الشيخ الديثرتي.

- لا.. لا... كلّه إلّا الراجل ده.

كانت ردّة فعل يوسف صادمة حيث انفعل انفعالًا شديدًا غيرَ مفهوم بمجرّد أن ذكر اسم الرجل، لينظر له ياسين ويسأله مستفسرًا:

- ليه يا يوسف, ما له الراجل ده؟!

- أصل... أصله راجل نصّاب يا ياسين, ومش هيعرف يفيدنا بحاجة.. أنت بنفسك قلت إن الموضوع قوي, أقوى من أيّ حد, صحّ واللّا إيه؟!

- يا أخي, استغفر الله؛ سيدي الديثرتي نصاب! ده راجل مبروك, وعنده كلّ الحلول لكل المشاكل, حرام عليك... طب والعشرة دول يا ياسين أهل المنطقة بتاعته كلها بتشكر فيه.

كانت تلك الكلمات من حاتم الذي استمرّ أكثر من نصف ساعة يتحدث عن كرامات الرجل, ويدافع عنه وكأنّه أحد أفراد العائلة, إلى أن أنهى ياسين النقاش في الأمر بأنهم سيذهبون إلى ذلك الرجل في المنطقة المعروفة بكثرة الأضرحة من جبل المقطم.

******

- سعادة الباشا, تقرير المعمل الجنائي وصل, استعجلناهم زي ما أمرت سعادتك.

كانت تلك الكلمات كفيلة بأن تجعل العميد حسام الدين يقفز من على السرير, ليتّجه إلى القسم ليطّلع على تقرير المعمل الجنائي بعد أن قام الوزير بنفسه باستعجاله حتى يتمّ الأمر بأقصى سرعة, وهو ما حدث فعلًا, فلم يستغرق الأمر أكثر من ساعات قليلة, وعمل أكثر من خمسة أطباء تشريح على القضية حتى انتهى التقرير. وصل حسام إلى المكتب قرب مغيب الشمس وما إن وصل حتى مثل أمامه خالد ومعه التقرير، حيث وضعه أمامه وقال:

- سعادتك التقرير بيقول إن مفيش أيّ آثار اقتحام, أو عنف في الشقة خالص, ولا حتى فيه أيّ حاجة تدلّ على كسر في الباب, وبيقولوا سعادتك إن مفيش أيّ آثار لحدّ دخل الشقة خالص, وكمان المكان الوحيد اللّي كان مفتوح هو البلكونة, واللّي طبعًا استحاله إنّ حدّ يعرف يدخل منها, خصوصًا إنه مش دور أرضي, ولا دور أخير منطّ... أمّا بالنسبة للجثة فدي بقى كانت أغرب موتة!! الصراحة التشريح لقى

إن الواد تمّ تصفية دمّه وهو صاحي, مش بس كده.. ده كمان كان واعي لكل حاجة بتحصل, وده في حدّ ذاته غريب؛ لأن الطبيعي.. واللّي فهمته من الدكاترة إن المخ بييجي عند نقطة معينة وبيحصل إغماء عشان بيبقى خلاص مش قادر يتحمل عذاب أكتر من كده, بس الواد ده كان فيه في جسمه كمية أدرينالين غريبة, وزي مايكون اللّي موّته كان عمال يحقنه بيها أو كلّ لمّا مخّه يبدأ يدخل في غيبوبة يتفرز أدرينالين عشان يفضل, عشان يخليه واعي ويتعذب أكتر.... أنا مبقتش فاهم حاجة سيادتك, دي أغرب قضية أنا شفتها.. الواد ازّاي اتصفى دمه من غير جرح, وازّاي القاتل دخل.. علامات استفهام كتير تخلّيني أصدق كلام العيال إن فيه قوة خارجية.

أنهى خالد ملخّصه منتظرًا ردّ حسام على ما يعتقده في تلك القضية, وما قاله له حتّى الآن ليأتي ردّ هذا الأخير بالصمت وكأنّه لم يستمع إلى شيء, بل كان في قمة تركيزه على التقرير في يديه, إلى أن انتهى من قراءته ليخرج سيجارة ويشمّها قبل أن يعيدها مرة أخرى وينظر إلى خالد الذي كان في انتظار أوامره, وقال بعد تنهيدة تدلّ على حيرته:

- فعلًا يا خالد.. القضية دي غريبة جدًّا, عمر ما قابلتني قضية زيّها طول عمري, غير قضية كده كانت زمان وانا بخدم في السلوم لمّا كنت لسّه ظابط صغير... قولّي يا خالد العيال فين دلوقت؟ والواد صاحبهم التالت ده اللّي كان معاهم عرفتلي عنه حاجة, أنا سقطّته خالص.

- المراقبة بلّغتنا إنهم كانوا قاعدين طول النهار عند واحد بلديات الواد اللّي اسمه يوسف ده, واللّي اتّضح فعلًا إنه كان عنده وقت وقوع الجريمة, وفضلوا عندهم طول اليوم, ودلوقت همّا خرجوا من قيمة ساعة كده, ورايحين مشوار والمراقبة وراهم.. أما بقى عن صحابهم ده

فهوّ في شقته ومبيخرجش خالص, وفي كلام كده من سكان العمارة إنّ الواد أعصابه تعبانة وبيقعد يصرخ طول الليل وكلام كده غريب.

- طيب خليك ورا العيال دي أمّا نشوف, وابعت هاتلي الواد ده عندي هنا على بكره. أنت عملت إيه في الكتاب صحيح اللّي قلتلك تدوّر عليه؟

- والله يا باشا الكتاب ده بقى حكايتُه أغرب مية مرة عن القصة كلها.. إحنا حتّى الآن مش لاقيين أيّ كتاب بالاسم بتاعهم, بس كمحاولة أخيرة أنا بعتّ لدار الكتب اللّي في القلعة اسم الكتاب ومواصفاته جايز يكون عدّي عليهم أيّ حاجة عن الكتاب ده, وهمّا هيدوره ويبلغونا سعادتك.

- برافو يا خالد تصرّف سليم.. ودلوقت بقى خلّينا نفكر إيه اللّي يخلّي حدّ يقتل شاب زي سمير.

ارتفع رنين هاتف العميد حسام بمجرد انتهاء كلامه ليردّ في سرعة على ذلك الرقم المتصل:

- سلام عليكم, إزّي حضرتك يا معالي الوزير.

- وعليكم, بخير يا حسام, المهم دلوقت إيه اللّي حصل.. مسكتوا القاتل أو عرفتوا أيّ حاجة عنه؟

تلعثم حسام قليلًا قبل أن يجيب:

- لسّه معاليك, القضية معقدة شوية وغامضة, وتقرير المعمل الجنائي بدل مايسهّلها صعّبها علينا.

- حسام, أنا مش عايز الكلام ده تاني, القضية دي في غاية الأهمية, وأول مرة تحصل في مصر, وأظن إني سبق وقلتلك إننا محتاجين نلمّ الموضوع قبل ما الصحافة تشمّ خبر, إحنا بالعافية عرفنا نسيطر على اهل الواد لما كانوا عايزين يستلموا الجثمان بتاعه, بس أكتر من كده أنا مش عايز, قدامك مهلة يومين وعايز ألاقيك بتكلمني وتقولّي إنك مسكت القاتل, مفهوم يا حسام واللّاه لأ؟

- مفهوم سعادتك, مفهوم.

أغلق حسام الهاتف بعد أن زاد توتره ناحية تلك القضية أكثر وأكثر, فبماذا سوف يخبر الوزير, بالتأكيد لن يجعل من نفسه بعد ذلك العمر أضحوكة الداخلية بالحديث عن السحر وعن جنّي قتلَ الفتى, وكلّ ذلك الكلام الأحمق, ولكن يجب أن يجد حلًا منطقيًا للأمر, أكيد يوجد حلّ منطقي.. أكيد.

******

وصل ياسين ويوسف إلى العنوان الذي سبق وأن أخبرهما به حاتم إلى الشيخ المدعو بالديثرتي؛ آملين أن يصدق ذلك الشيخ, ولا يكون أحد النصابين كما يدّعي يوسف الذي قرر الذهاب على مضض بعد إلحاح ياسين بالأمر، ما أن وصل إلى المنزل المكفهر المكون من طابقين كلاهما يغرق في الظلام, وكأن هذا البيت ضمن أحد أفلام الرعب.

طرق باب المنزل حتّى فتح لهما شخص يبدو عليه من هيئته أنه الخادم حيث كان يرتدي جلبابًا أصفر قصيرًا, لا يكاد يصل إلى أسفل قدميه, أمرهما ذلك الخادم بالدخول وانتظار الدور. دخلا إلى المنزل في الطابق الأول الذي كان يتكون من طرقة واسعة ليجدا بعدها ما يشبه الصالة التي ينتهي بها المكان إلى باب كبير بالخلف. يبدو أنها

غرفة الشيخ, تلك الصالة كانت مليئة بالأشخاص وكأنّهم في انتظار الكشف عند أحد الأطباء الكبار, فمنهم الكبير والصغير, وهناك من يبدو من مظهره أنه من الفقراء, وهناك من يبدو أنه من عِلية القوم.. جلسَا بالقرب من مدخل الباب في آخر الصالة واستمرّا على تلك الجلسة إلى بعد وقت صلاة العشاء بساعة, إلى أن حضر إليهما الخادم يخبرهما بأن وقتهما قد حان للدخول. اقتربَا من الباب لدخول الغرفة, وكلاهما خائف ممّا يصوره له عقله حول تلك الغرفة؛ هل سوف يرون أشياء مثل الأفلام أم سوف يفتح لهم أحد الجن الخدم لذلك الساحر, أم ماذا سوف يحدث, ولكن بمحرد دخولهم إلى الغرفة تلاشى كلّ شيء, فقد شاهدوا ما هو أغرب من ذلك بكثير؛ فالغرفة ما هي إلا مكتب شديد الفخمة وكأنّه لا يمتّ لبقية البيت بأي صلة؛ مكتب كبير يجلس خلفه شابّ أسمر البشرة قوي البنية في سنّ الثلاثين, يرتدي قميصًا وبنطالًا عاديّين.. قدّم الشاب نفسَه على أنه الديثرتي, عثمان الديثرتي حيث استغرب كلّ منهم من هيأته فقد خيّل لهما أنه مساعده- بعد توقعهم بمقابلة رجل كبير في السن-, ليردّ عليهما في هدوء شديد:

- لا متستغربوش, العلم ملهوش سنّ, وأنا ربنا آتاني العلم وأنا صغير, عشان كده اتشهرت واتعرفت, وعلمي بقى أكبر من سنّي... المهم خلّينا في المهم, إيه مشكلتكم؟

- مش انتَ المفروض ساحر وكده, والمفروض تكون عارف بقى إحنا جايّين ليه, واللّا إيه الحكاية؟!

كانت تلك الكلمات من يوسف, وهو يتحدّى ذلك المدّعي الذي يعامله الناس كأنه أحد الأولياء الصالحين قبل أن يقول:

- محدش بيعرف الغيب يا أستاذ غير ربنا, وأنا مقولتش إني ساحر, أنا عارف أو تقدر تقول عالم, بسّ في علم مختلف شوية عن بقية العلماء.

- وأنت بقى علم حضرتك في إيه بالظبط؟

كان الكلام هذه المرّة من ياسين الذي أثارت كلمة عالم حفيظته ليردّ عليه عثمان:

- في الماورائيات, على فكرة ده علم موجود من زمان, ومعترَف بيه دوليًّا, هو باختصار علم بيدرس كلّ الظواهر الغريبة, تقدر تقول إني ربنا ادّاني القدرة أني أقدر أجمع ما بين دراسة السحر وبين علم الماورائيات.. وخدوا بالكم أنا قلت دراسة السحر وليس العمل بيه عشان محدش يقول إني ساحر منكم تاني.

- الصراحة.. أنت غريب, زيك زي المكان كله, إحنا توقعنا هندخل نشوف راجل عجوز قاعد وراه نار مولعة, والجوّ القديم ده!

- أنا عارف, بس الناس دي أغلبها يا إمّا نصابين يا إمّا سحرة, وأنا لا ده ولا ده, قولولي بقى إيه المشكلة عشان الوقت.

أنهى عثمان كلامه وهو يحثّهم على البدء في الحديث بالإشارة إلى ساعة يده حتّى ينتهي من هذا النقاش الذي إذا تركه سيستمر إلى مطلع الشمس. قصّ كلّ منهم ما حدث من بداية الأمر حتّى مقتل صديقهم سمير, وهو يستمع إليهم بتركيز شديد, ولم يقاطعهم حتّى انتهيَا من كلّ الكلام. وقف من مجلسه متجهًا إلى مكتبة ضخمة كانت عن يمين المكتب يبحث بها عن أحد الكتب وهو يتحدث معهما قائلًا:

- عالم الجن ده عالم غريب جدًّا, وكبير في نفس الوقت, زي عالمنا ويمكن أكبر, وفيه طبعًا نبوءات كتيرة بتتكلم عن مصيرهم, وحاجات كده تانية بتتكلم عن آخر العهد عندهم, بس كلّ النبوءة كانت تخصّ عالمهم, همّا ملهمش تأثير على عالمنا بشكل كبير غير على أشخاص معينة.. إلا نبوءة واحدة بس؛ نبوءة العازف اللّي انتوا جاييلي بيها.. أنا كنت سبق وقريت عنها قبل كده في كتاب هنا.. بس أنا مش فاكر أنا حطّيته فين.. بس أهو, خلاص لقيته.

أغلق عثمان المكتبة, بعد أن أخرج منها أحد المجلّدات الضخمة, وأحضره ليضعه على المكتب أمامهما, ويقلب في صفحاته حتّى وصل إلى فصلٍ بذاته بعنوان نبوءة العالمين.

- آهي.. هيّ دي النبوءة؛ نبوءة العالمين أو العازف, النبوءة دي كانت بتتكلم عن إن هيظهر ولد من بني الإنس هيكون عنده قدرات أعلى من أقوبي مردة الجن, وفي نفس الوقت عنده مميزات البشر اللّي مش عند الجن, الولد ده هيكون متحكم في قوته دي من صغره, وهيختار ملك واحد, بس مش مذكور الملك ده هيكون من بني الإنس واللّا الجن, بس الملك ده الواد ده هيخلّيه يحكم العالمين بعد ميْخليه يسيطر على العالم بتاعه الأول.. بس عشان يعمل كده محتاج شوية حاجات؛ دم متعجرف, وعضم شهواني, وجلد مميز, التلاتة دول لو اندمجوا مع بعض هتكتمل قوة الوالد ده, أو العازف ده, ويقدر بملك الملك على كلّ حاجة... وواضح إنه بدأ فعلًا وجاب أول حاجة وهي دم المتكبر أو المتغطرس بمعنى أدق.

أغلق عثمان الكتاب, ونظر في وجهيهما ليكمل كلامه:

- بصّ يا ابني انتَ وهوّ.. أنا مش عارف إيه اللّي وقّعكم الوقعة السودة دي, بس أحب أقولّكم إني مش هقدر اعملكم أيّ حاجة, ولا أيّ حد

يقدر يعملكم حاجة, أنت تروح كده انت وهو تسلّموا على قرايبكم عشان الموضوع منتهي, أو ممكن ربنا ينقذكم من العازف ده.

- يعني إيه الكلام ده! يعني إحنا جاينلك عشان تقولّنا الهبل ده وتسيبنا وخلاص؟!

قال ياسين الذي علَا صوته على إثر ما سمع من عثمان, ليردّ عليه الأخير بحزم:

- صوتك ميعلاش؛ أنا قلتلك الموضوع, وفهّمتهولك, الموضوع كبير, وأكبر منّي ومن أيّ حد, وفعلًا محدش هيقدر يساعدك, وربنا معاك, بس أنا بجد مش هقدر اساعدك.

- لحظه كده...

قال يوسف الذي كان يفكر في أمر ما قبل أن يكمل كلامه:

- أنت قلت دم الأول وعضم التاني وجلد التالت.. ده معناه إن اللّي هيموت تلاتة واحنا أربعة؛ إيه مصير الرابع؟!

أخذ عثمان يفكر قليلًا قبل أن يجيب على ذلك السؤال:

- مش عارف. مع إني مظنش إن مصيره هيبقى أحلى من مصير التلاتة التانيين.

- طب.. طب إحنا المفروض نعمل إيه دلوقت, أكيد فيه أيّ حاجة ممكن نعملها, ماهو.. أكيد مش هنموت إحنا كمان!

كانت تلك الكلمات من ياسين الذي تملّك منه القلق والخوف حتّى أصبح من الممكن سماع صوت دقات قلبه من الخوف.

- والله يا ياسين أنا معرفش, ولكن أوعدك إني هدوّر بكلّ قوة, وهعمل أبحاثي جايز اقدر ألحقكم, بس أنا عايزك تعرف إن دي مش معركتي, ولا عمري هدخلها, أنا هساعدك من بعيد بس...

خرج كلّ من يوسف وياسين وهمَا يجرّان خيبات الأمل خلفهما من ذلك الشيخ.. أو العالم كما يقول. يبدو أنّ الأمر الآن أصبح في غاية الخطورة والغرابة.

- بقولك إيه يا يوسف..

- إيه!

- تعال نروح عند الواد خليفة.

- هنروح عنده نعمل إيه, واللّا نروح عشان نموت كلنا جماعة هناك.

- يا عمّ متفوّلش يلعن أبو معرفتك, إحنا لازم نروحله جايز نقدر نعمل حاجة.. يكون عارف حاجة.. أنا مش عارف, بس إحنا لازم نروحله حتّى نلحقه لو.. لو الدور عليه.

صمتَ يوسف قليلًا مفكرًا فيما قاله ياسين قبل أن يقول:

- عارف يا ياسين, أنا الشخص الرابع اللّي مش هيموت.

نظر ياسين لوجْه يوسف الذي علتْ عليه ملامح الجد غير المعهودة به.. كلما يظن أنه يعرف ذلك الشخص يكتشف فيه أشياء أخرى كثيرة وغريبة, فقد كان في البداية لا يعرف أحدًا ولا يتحدث مع أحد حتّى حينما تعرفوا عليه كان قليل الكلام, وها هو الآن يتحدث بكل ثقة وجرأة, غريب ذلك الفتى!!

- إيه.. أنت مش مصدقني واللّا إيه!

كانت تلك من يوسف حينما طال صمت ياسين على ما قاله ليردّ الثاني عليه:

- ليه بقى يا فالح, إيه.. على راسك ريشة واللّا مخاوي واللّا إيه!

- لأ, عشان أنا أحسن واحد فيكم, سمير كان متكبر ومتعنتظ, وخليفة بتاع بنات ومقضيها, وانت.. أنا حتّى الآن مشفتش حاجة منك وحشة.. بس مين عارف مش يمكن تكون اللعنة منهم كلهم, أصل إيه اللّي دخّلك في الموضوع ده إذا كنت انتَ أصلًا محترم وكويس أكيد مكانش العازف ده دخلك في الليلة دي.

كان ياسين ينظر إلى وجه يوسف وعلى وجهه نظرة استحقار لذلك الأحمق الماثل أمامه الذي نصّب نفسه إلهًا يحكم على مَن الأفضل ويستحق العيش, ومَن الأحمق ويستحق الموت... فكّر ياسين أنه إذا كان في يده إنقاذ ذلك الأحمق من الموت لتركه يموت أمامه.. ليرقص على قبره فيما بعد.

تركه ياسين وتحرك إلى قارعة الطريق وهو ينهي الأمر بقوله:

- أنا رايح عند خليفة, ومش هسيبه لوحده, أنت بقى شايف نفسك نبي, ومش زيّنا؛ خليك هنا لوحدك, ياكش ييجي يموّتك انت, وساعتها مش هتلقى أيّ حد منّنا جنبك.

- لا.. لا.. لا, استنّى أنا جاي معاك.. آهو نفضل مع بعض أحسن.

قالها يوسف وهو يركض خلف ياسين الذي سبقه بخطوات سريعة, والذي قرّر عدم الرد عليه نهائيًّا حتّى الوصول إلى منزل خليفة.

مضى يومان وهو على هذه الحالة.. لم يتغير شيء, نفس الأحلام ونفس الأحداث لا يتغير شيء, لا يعلم أيهم يكره أكثر؛ رتابة الأحلام أم رعب الأحلام! مضة يومان وهو لا يخرج من غرفته, يومان وهو يوقظ المنزل بأكمله على صراخه وبكائه طوال الليل, يموت في الليلة الواحدة أكثر من مرة هو وأهله يموتون بنفس الطريقة في كذا مكان, و.. ولكن الطريقة واحدة. قطع حبلَ أفكاره صوت قادم من خارج الغرفة, صوت خطوات ثقيلة.. كأنه الموت نفسه يسير على قدمين.. ذلك الموت قادم إليه بكلّ تأكيد. قرّر خليفة أن يخرج من الغرفة, إذا كان الموت صعبًا فالانتظار أصعب. فتح خليفة باب الغرفة وخطَا أول خطواته إلى الخارج ليجد أمامه آخر شخص كان يتوقع أن يراه.. لوهلة شعر بالطمأنينة لوجود ذلك الشخص المألوف, ولكن كيف دخل إلى هنا! ولماذا جاء؟ أم هو نفسه..

- أنت, أنـ. انت جيتِ ازّاي... بس مش مهم إنك جيت ازّاي؛ المهم إنك جيت, أكيد والدتي فتحتلك الباب, صح؟

ظهر شبح ابتسامة على وجه الماثل أمامه, أهو صديق! يبدو أنه مخطئ في ذلك الأمر.. لوهلة شعر أنها المرة الأول التي يراه فيها.. هل مازال هو نفس ذلك الشخص الذي زامله في الدراسة؛ الطيب الهادئ أم تغير واختلف الأمر, يوجد شيطان ماكر, شرّ محض، ابتلع ريقه بعد تقبّله للحقيقة ليقول:

- هوّ انت ازّاي كنت كده.. يعني ازّاي قدرت تخدعنا, إزّاي قدرت ببساطة كده تدخل وسطنا وتبقى صاحبنا وانتَ أصلًا شرّ ماشي على الأرض!؟

ضحك العازف ضحكة عالية ارتجّت معها أرجاء الشقة.. قبل أن يقول بتكبر:

- لأني أنا العازف.. أنا نبوءة العالمين, أنا القوى العظمى.

ثمّ ابتسم قبل أن يكمل باستهزاء وهو يتحرك بخطوات ثقيلة مقبلًا على خليفة:

- أتظنّ خدع أطفال حمقى مثلكم أمرًا صعبًا عليّ.. أنتم دائمًا هكذا يا بني البشر؛ تظنون أنكم محور العالم!

قال خليفة بعد أن استجمع قوته, وفي محاولة منه بأن لا يبدو ضعيفًا, ولكن بدَا ذلك في نبرة صوته المهزوزة:

- وانت بقى إيه! طالما إحنا كلّ ده.. أنت إيه؟! واللّا انتَ أصلًا مش من البشر.. أنت جنّ, صحّ؟

ضحك العازف على ذلك الاستنتاج الأحمق الذي توصل إليه خليفة, ثمّ في حركة خاطفة أصبح خلف خليفة الذي أصابه شلل في جميع أعضاء جسده, وكأن شيئًا ما يمسك به ويقيد حركته. قال له العازف وهو يمرّر يديه حول عنقه تارة, ويلعب بشعره تارة.. مثل القط الذي يلعب بالفأر قبل أن يقتله:

- أنا مش جنّ يا خليفة.. الجن دول كمان أضعف من إني أبقه واحد منهم, أنا أقوى من ده ومن ده.. تقدر تقول إني أنا المختار الأعظم... وأظن إن كفاية كلام لحدّ كده, وخلينا نستمع بقى.

ارتفع دويّ ضحكاته الممزوجة بصراخ خليفة من أثر ما كان يحدث به, وبي جسده, فالموت الذي كان يخشاه أصبح الرحمة التي يتمنّاها الآن.

****

هرول الرائد خالد إلى مكتب العميد حسام واقتحمه من غير سابق إنذار قبل أنا يقول وهو يلهث:

- إلْحق يا باشا, الواد صاحبهم التالت, الدورية بلّغتنا إنهم سمعه صوت صريخ من شقته, ولمّا طلعوا يعرفوا فيه إيه.. لقوه ميت هو كمان... والمرة دي موتة ألعن من اللّي شفناها قبل كده!

- أنت بتهزّر يا ابني انت وهمّا واللّا إيه! إيه يا حساااام! أنت باعت عيال تراقب واللّا إيه, اللّي قتله ده دخل ازّاي وهمّا مراقبين العمارة؟!

- سعادتك الرجالة كانت صاحية طول الوقت, ومفيش حدّ لا دخل ولا خرج من المكان قدام عنيهم.

- يبقة غفّلهم يا حبيبي, يتجازوا كلّهم يا خالد. ولو الموضوع وصل لمحاكمة عسكرية يتحاكموا يا خالد, أنت فاهم؟!

- أوامر سعادتك يا باشا.

- يلّا بينا أمّا نشوف المصيبة دي كمان.

- باشا.. في حاجة كمان.

- إيه تاني!؟

- ياسين ويوسف موجودين هناك دلوقت.

- بيعملوا إيه هناك؟ وهناك من إمتى؟

- وصلوا سعادتك بعد امّا رجالتنا بلغتنا بالجريمة, وبيقولوا إنهم كانوا جايّين يزوروه ويبقوا معاه بدل ما كلّ واحد منهم مستنّي الموت لوحده.

- أنت متأكد إنهم وصلوا بعد وقوع الجريمة مش قبلها؟

- سعادتك قصدك إنهم ممكن يكون...

- ممكن جدًّا يكون سهوّهم ودخّلوا خلّصوا ورجعوا تاني, هنعرف.. هنعرف كل حاجة.

****

ارتفع صوتُ سرينة البوليس معلنة قدوم العميد حسام الدين الذي بمجرد أن توقفت السيارة اتجه فورًا إلى الأعلى محاطًا بالتحيات العسكرية التي كان يتلقّاها مع كلّ رجل من رجال المباحث أثناء الصعود على الدرج, إلى أن وصل إلى الشقة ليجد المشهدَ المعهود من رجال المعمل الجنائي والمباحث, ولكن كان يزيد عن ذلك المشهد مشهد أمّ المجني عليه وهي منهارة من البكاء لما حدث لابنها الوحيد فلذة كبدها- الذي أيضًا كان معهودًا في مثل تلك القضية- ويحيط بها كلّ من ياسين ويوسف الذي اقتصر دور ذلك الأخير على المواساة بين كلّ حين والآخر, على عكس ياسين الذي جلس تحت قدميها يبكي بحرقة وهو ممسك بيده في محاوله لمواساتها. أهملهم حسام على الرّغم من استغرابه لوجودهما بعد الجريمة, واتجه فورًا إلى الجثة الملقاة على الأرض, ولكن هذه المرة كان منظر الجثة في غاية الغرابة, فكانت تبدو كأنّها رخوة, أو لكائن رخوٍ, لا يوجد به أيّ عظام، وقبل أن يسأل كان العاملُ على الجثة- والذي سبق أن عملَ على القضية السابقة- قد قرأ تساؤله فأجابه ويبدو على نبرة صوته القلق من ذلك الشيء غير المعهود وغير القابل للتفسير:

- أيوه سعادتك, الـ.. الجثة مفهاش عضم, حدّ سرق العظم, وبرضه من غير أيّ جرح خالص, الموضوع بقى غريب قوي سعادتك, وأنا

معنديش أيّ تفسير عن ازّاي حصل كده, ولكن واضح إنها ماتت بنفس طريقة الجثة الأولى.. أتّاخد منها العضم وهيّ صاحية وحاسة بكلّ حاجة.

لم يعقّب حسام على ما قاله, بل تركه واتجه إلى خالد, ومعالم الحيرة على وجهه:

- خالد.

- أيوه يا باشا.

- فيه تحت العمارة صيدلية, وفيه كاميرا على الباب برّه, عايزك تنزل تفرّغلي كلّ الفيديوهات والتصوير بتاع النهارده, وابعت حدّ من الرجالة في ضهر العمارة يشوف كلّ المحلات اللّي حوالين العمارة من الضهر, ويجيبلي تفريغ الكاميرات بتاعتها, أنا عايز اعرف كلّ واحد دخل أو خرج من العمارة, والعيال دي بالذات كانت موجودة قبل الحادثة واللا بعدها.

قالها وهو يشير بعينيه على ياسين ويوسف.

- أوامرك يا باشا, همّا جُم بعدين سعادتك, بسّ معرفش عرفوا منين, بس أوامر سعادتك.

بمجرّد أن أنهى خالد كلمته بالتحية العسكرية اتّجه فورًا إلى أحد رجال المباحث وأعطى الأوامر لتنفيذ ما أمره العميد حسام, وأخذه وذهبَا فورًا. اتجه حسام إلى والدة خليفة موجهًا إليها الكلام, مهملًا كلًّا من ياسين, ويوسف الذي بدتْ على وجهه علامات الخوف من العميد وكأنّه قادم للقبض عليه..

- البقاء لله يا حاجة, ربنا يجعلها آخر الأحزان يا رب, بعد إذنك يا حاجة كنت عايز آخد منك كام كلمة كده.

نظرت له الأم وعيناه تغرقان في الدموع, وقالت في صوت متقطع من أثر البكاء:

- كام كلمة.. ليه.. وهتفرق في إيه! أنتوا جايّين بعد إيه.. بعد ما ابني مات, بعد ما سندي في الدنيا مات! آه آاااااا يا ابني يا ضناااااايا, لا ومات موتة وحشة قوي, كان بقاله فترة بيعيّط ويقولّي أنا هموت يا ماما, الموت جاي ياخذني يا ماما.. مش هيسيبني يا ماما, وانا اقول الواد بيخرّف.. تعباااان, لحدّ ما الموضوع زاد عن حدّه... ودّيته لدكاتره كتير؛ اللّي يقول حالة عصبية, واللّي يقول صدمة نفسية, ومحدش كان عاااارف فيه إيه! وأنت جاي بقى عايز تعرف إيه.. تعرف المجني عليه كان ليه أعداء واللّا لأ, واللّا كان عنده أملاك عشان يقتله ويعملوا فيه كده! هاتلي ابني الأول يا باشا.. هاته وخد منّي الكلمتين, خدْ عمري كله لو عايز, بس ابني يرجع, ابني يرجع.

واستمرّت في البكاء والنحيب حتّى أصبح صوتها غيرَ واضح. تركها حسام بعد أن شعر بأنه اختار الوقت غير المناسب للحديث. تركها واتجه إلى الغرفة التي كانت قد أعدّت ليتم التحقيق بها, وهو يشير بيده إلى الاثنين يوسف وياسين حتّى يتبعاه.

اتّجه كلّ منهم إلى الغرفة, وما أن دخلوا حتّى دخل خلفهما أحد أمناء الشرطة وأغلق الباب خلفه, وقام بدفع كلّ منهما ليُجلسه على كرسيه بطريقة فظة كأنهم من أعتى المجرمين. جلس حسام خلف المكتب وظلّ صامتًا ولم يتحدث أو يفعل أيّ شيء, كلّ ما فعله أنه أشعل سيجارته التي كان في طريقه إلى الإقلاع عنها, ولكن... يبدو أنه سوف يعود مرة أخرى للتدخين, أمّا الإقلاع ليس الآن.. فدماغه تحتاج ذلك

النيكوتين بشدة في ذلك الوقت, وإلّا فلن يستطيع أن يحلّ تلك القضية اللعينة.. وأيضًا كان يقصد بصمته هذا التلاعب بأعصابهما, وأيضًا إعطاء خالد الفرصة حتّى يفرغ شرائط المراقبة فلعلّه يجد فيها إدانة لأحدٍ منهما.

- هو.. هو احنا هنا ليه سعادتك؟! إح.. إحنا ملناش ذنب, وبعدين غحنا وصلنا ورجالة حضرتك كلهم هنا ممكن تسألهم سعادتك.

كانت تلك من يوسف الذي ظهر القلق جليًّا في كلماته المتقطعة, على الرغم من محاولات إخفائه, على عكس حالة ياسين الذي كان صامتًا وكأنّه لا فارق معه كيف ينتهي ذلك الأمر.. وحتى فكرة أن يحكم عليه بالإعدام ستكون أفضل ليموت أسرع؛ ذلك سوف يكون أرحم من انتظاره الموت.

أطفأ حسام سيجارته ثمّ اقترب برأسه إلى الأمام وتحدث بهدوء مخالفٍ تمامًا لما كان يحدث في داخله من تصارع الأفكار على حلّ تلك القضية, وقال:

- بص يا ابني انتَ وهو, أنا دماغي وجعتني من القضية دي, ومتحاولوش تبيّنولي إنكم ملكمش يد في اللّي حصل؛ لأنّي مش هصدق خالص. أنتوا الاثنين كنتوا موجودين بعد موت اتنين من صحابكم, كلّ واحد فيهم بطريقة أغرب وأبشع من اللّي قبلها. أينعم أنا معرفش انتوا عملتوها ازّاي, بسّ انتوا هتحكولي, صح؟

- يا باشا, أقسم بالله إحنا مموّتناش حد. والمصحف الشريف مالينا يد في أيّ حاجة, إحنا كنّا جايين عشان نقعد معاه نتونّس بيه, بدل ما كلّ واحد فينا لوحده, وآهو يمكن يكون لقى حاجة أو حلّ للّي حصل, ولما وصلنا لقيناه ميت, واسأل رجالاتك, أقسم بالله ده اللّي حصل.

كان هذا تعليق وردّ يوسف على الاتهام الموجه؛ حيث انهار على الفور من اتهام حسام له, وبدَا جليًّا على عينيه أنه سوف يبكي في أيّ وقت, على عكس زميله الذي آثر أن يطأطئ رأسه, ويضع كلتا كفّيه على رأسه صامتًا دون كلام؛ ممّا أثار ريبة حسام, فنظر إليه وقال:

- وانت يا ياسين, ما لك هادي قوي كده ليه, مش غريبة دي! المفروض إنك تنفعل زي صاحبك, دي جريمة قتل يا حبيبي, مش غش في امتحان!

رفع ياسين رأسه ونظر إلى حسام وهو يقول وهو مستسلم:

- يعني أنا لو اتكلمت سعادتك هتصدقني! ما احنا سبق وحكينا لسيادتك إن....

قاطعه حسام على الفور بعد أن استشاط غضبًا وهو يضرب بيده على سطح المكتب الصغير- الذي كان للمجني عليه من قبل- ويقول:

- ولاه أنت وهو!.. شغل العيال ده مش معايا أنا, جنّ إيه وكتاب إيه, وكلام فاضي إيه, أقسم بالله لو ماعترفتم دلوقت بكلّ حاجة لآخدكم معايا القسم وأخلّي القسم كله يحقّل عليكم لحدّ ماتعترفوا.

أجهش يوسف بالبكاء بمجرّد أن انتهى حسام من كلامه, وكأنّه كان حسام أعطاه بكلامه الإذن ليبكي.. وقال وهو يبكي والكلام لا يظهر من صوت بكائه:

- والله العظيم ماعملت حاجة... والمصحف ماعملت حاجة, أنا.. أنا مجرد إني حضرت معاهم التحضير اللّي عمله سمير الله يجحمه مطرح ما راح, لل.. للمقرضي ده, ومعرف....

- أنت بتقول مين؟!

قاطعه حسام بمجرد أنْ سمع ذلك الاسم الذي لم يغبْ عن عقله ولا مرة بعد كلّ تلك السنين... في تلك الليلة التي لم يشاهد مثلها من قبل في منطقة السلوم؛ الليلة التي لم ينْسها قطّ, والتي أيضًا لم يكن هناك أيّ دليل في تلك القضية يدين أحدًا!

ما أشبه اليوم بالبارحة، عاد حسام مرة أخرى ليجلس خلف مكتبه موجّهًا كلامه إلى يوسف:

- أنت تقصد المقرضي مين؟ أبو عابد المقرضي؟!

- أيوه أيوه.. هوّ الزفت ده, أنا.. أنا مكنتش اعْرف إن اسمه مهمّ, إن حضرتك تعرفه عشان كده مقولتش اسمه في المرّة اللّي فاتت.

أكّد يوسف على كلام حسام وكأنّه هو الخلاص لمشكلته ليفكر ذلك الأخير فيما حدث هل يعقل, ذلك اللعين عاد مرة أخرى أم ماذا!

أخذ حسام ينقل نظراته بين كلّ من الثنائي مرة أخرى قبل أن يقول, وقد هدأت نبرة صوته:

- بص انتَ وهو, أنا أينعم مش مقتنع بأي حاجة من الكلام اللّي بتقولوه ده.. بس أنا برضه عارف إن فيه حاجات غريبة في العالم حوالينا, يمكن أكون مصدق في الكلام ده عشان أنا أعرف حاجات كتير من اللّي شفته طول حياتي, بس أيًّا كان السبب أنا هعرف مين اللّي عملها, ولو طلع حدّ فيكم وبتضحكوا عليّا أقسم بالله أسوّد عيشته, أنتوا فاهمين! بصّوا بقى.. أنتوا هتخرجوا من هنا دلوقت وتمارسوا حياتكم عادي جدًّا, وأنا هشوف موضوع المقرضي ده, بس اسمعني انتَ وهو.. كلّ يوم تيجوا عندي المكتب تدّوني التمام, ومن هنا ورايح أنتوا ممنوعين من السّفر, وممنوعين كمان من إن انتوا تخرجوا برّه القاهرة لحد ما القضية دي تتحلّ, فاهم انت وهو؟!

- فاهمين سعادتك, بس.. حضرتك مصدقنا؟

كانت تلك من يوسف الذي كان يلملم أعصابه, وكان شعر بالأمان من وجود فرصة ليخرج من تلك المشكلة اللعينة ليأتيه رد العميد حسام باقتضاب:

- أصدق واللّا ماصدقش, دي حاجة تخصّني أنا محدش فيكم ليه فيه, يلّا غور انت وهو من قدامي.

خرجَ يوسف وياسين من البيت بعد أن جلسَا مع والدة خليفة قليلًا قبل أن يقنعوها أن تذهب لتبيت عند أحد أقاربها, وأخذوها معهما, وخرجوا من المنزل ليذهبوا إلى منزل حاتم بعد أن زاد همهم على همّ, وحزنهم على حزن بعد موت صديقهم.. متى سوف يأتي الموت.. كم يتمنون الموت الآن, فسوف يكون أكثر راحة ممّا هما فيه الآن.. أفضل بكثير من الخوف من ذلك المجهول وانتظاره.. سوف ينتهي كلّ شي.. فقط نوم إلى الأبد.. الظلام ولا شيء سوى الظلام.. أليس ذلك ممتعًا!

****

دخل خالد إلى الشقة بعد غياب لأكثر من ساعتين في الخارج, وهو يجمع "داتات" الكاميرات المحيطة بالمنزل كما أمره العميد حسام، ليجد حسام يجلس في صمت, وعلى وجهه علامات اندهاش, وصدمة لم يشهدها من قبْل على وجه قائده, وفي نفس الوقت لم يجد كلًّا من يوسف وياسين, وهو ما استغربه بشدّة, فقد كان يتوقع أن يجد كلاهما, أو على الأقل سوف يأخذهم إلى القسم حتّى يتم الترحيبُ بهما بالطريقه المعهودة بالطبع... أو على الأقل سوف يتمّ التحفظ عليهم حتّى يتم تفريغ الكاميرات.

اتّجه خالد إلى حسام ليخبره أنه أحضر تفريغات الكاميرات ليفاجأه الثاني بإشارة منه بأن يتبعه إلى داخل الغرفة..

دخل حسام وخالد إلى الغرفة ليبدأ حسام الكلام, قال:

- بص يا خالد, أنا عارف إن الكلام اللّي هقولهولك ده غير منطقي خالص, بس العيال دي فعلًا بريئة.

صُدم خالد من تغير رأي حسام المفاجئ, فما الذي حدث وهو في الخارج ؟! فهو لم يكن يتوقع أن يكون ردّ فعل حسام بتلك الطريقة, هل من الممكن أن يكون قد تمّ التلاعبُ بعقله, ولكن كيف يحدث ذلك من هولاء الأط... الأطفال!

- لا يا خالد أنا محدّش لعب بدماغيو بس فيه حاجات أنت متعرفهاش.

جاء ردّ حسام وكأنه قد قرأ السؤال في عين خالد، ليستفسر من خالد قائلًا:

- وإيه بقي سعادتك الحاجات اللّي أنا معرفهاش دي, سعادتك العيال واضح جدًّا إن ليهم يدّ في اللّي حصل, أو على الأقل يعرفوا مين اللّي عملها.. إديني الأمر سعادتك وانا أروح أطربق الدنيا على دماغهم, وأجيبهم لك مربّطين ويعترفوا بكل حاجة.

- خالد, بص.. العيال دي براءة, وإحنا بنواجه حاجة مشفناش زيها قبل كده. بص.. زمان وانا في سنّك كده, وانا لسه ظابط نبطشية كنت بخدم في قرية كده في السلوم لا داعي لذكر اسمها, بس كان فيه ساحر في القرية مشهور وقوي قوي, ومحدش من القسم كله كان عارف يقبض عليه, ولا حتى يمسك ولو دليل واحد عليه لحدّ ما الكلّ اقتنع

إن الراجل ده فعلًا ساحر, وسخر جنّ تحت إيده, لأنه مكنش طبيعي اللّي الرجل ده كان بيعمله, ولا طبيعي إنه يقدر يشفي ناس ويتعب ناس, وكان وصل الأمر إنه كان بيموّت ناس كمان, مش عارف بقى بسرح واللّا إيه! المهمّ إن مكانش فيه دليل واحد عليه, أنا عمري ما كنت بقتنع بالكلام ده لحدّ ما اتعرضت للشخص ده, من بعدها اقتنعت بكل حاجة, واقتنعت بالسحر.. الرجل ده كان اسمه أبو عابد المقرضي, المهم يعني فضلنا كلنا نحاول إننا نمسك عليه أيّ حاجة, وكان أيّ ظابط يحاول يمسك عليه حاجة أو يركّز معاه ويراقبه كان بيختفي, لحد ما جت ليلة وجه راجل غلبان كده ومحترم جدًّا, والقريه كلها كانت عارفه, وقرّر إنه يبلغ عن المقرضي.. إنه خطف ابنه الصغير وعايز يموته, أنا لو أوصفلك كمية العربيات اللّي خرجت من القسم عشان تقبض عليه مش هتصدق.. إحنا ولا كإننا خارجين عشان نقبض على خطّ الصعيد, واللّا سفاح, المهم إن اللّي حصل في الليلة دي عمري كله ما نسيته ولا أظن إنّ فيه حدّ في القسم كله نسي اللّي حصل. بس اللّي اقدر اقولهولك إنها كانت ليلة وكأنها في جهنم, وحتى المقرضي ملحقناهوش لأننا لما وصلنا لقينا البيت كله مولّع, ولقينا بعديها جثة المقرضي ده, حتّى النار نفسها كانت شديدة قوي, مبتطّفيش وكأنها مش نار عادية من بتاعة البشر؛ لا دي حاجات تانية خالص غير البشر.. المهم دلوقت عايزك تعرفلي مدفن المقرضي فين, تعرفلي كلّ حاجة عنه, أو بمعني أدق عن قبره بعد موته.

- سيادتك أنت مقتنع بتخاريف إنه رجع من الموت والكلام ده! اعذرني سيادتك أنا مبقتنعش بالكلام ده, وكل الكلام اللّي حضرتك قلته ده عن غرابة الليلة وقوة الرجل ده برضه ملهوش علاقة باللي احنا فيه.

- لأ طبعًا يا خالد, مقصدش إنه رجع من الموت, بس مش ممكن يكون المقرضي مماتش أصلًا, وعايش كلّ ده, واللّي احنا دفنّاه ده جثة حدّ تاني, ده مش بعيد كمان يكون هوّ اللّي حط الجثة دي مكانه في النار.. ده كمان غير جثة العيل الصغير اللّي ملقناهوش برضه لحدّ دلوقت, أنا تعبت ومش عارف افكر.

- والله يا باشا, إحنا كلنا تعبنا من التفكير في أم القضيه دي, إحنا مبنلحقش نحلّ واحدة عشان نلقى التانية, المهم دلوقت سعادتك أنا جبتلك تفريغات الكاميرا كلها بتاعة الصيدلية اللّي تحت, وبتاعة محل كشري في ضهر العمارة موجودة برضه.

قال خالد وهو يمدّ يده إلى العميد حسام بأسطوانات تمّ تحميل الفيديو عليها ليتفحصها، لينظر إليها حسام بإهمال, فبالتأكيد لن يجد أيّ شيء بداخلها؛ أكيد الجن والأشباح لن يظهروا في الكاميرا, أمّا إن كان المقرضي فبالتأكيد لن يصعب على الجن والخدم خاصته أن يوقفوا كاميرات المراقبة, فهكذا علمَ من تجارب حياته أنّ الجن قادر على فعل كلّ شيء.

- خلّي حدّ من الرجال يا خالد يقعد يشوفها جايز يلاقي فيها حاجة, أنا مفياش دماغ ليها.

قالها حسام وهو يقف ليستعدّ لمغادرة الغرفة, وعلى الرغم من إهماله الشريط لعدم توقعه أن يجد بها شيئًا, ولكن جعلَ أحدهم يراها حتّى لا يهملها؛ فمن يدري...

لعله يجد شيئًا.

****

وصل ياسين ويوسف إلى منزل حاتم وهما في حالة يرثى لها, فمَن يراهما وهما عائدان يظنّ أنهما عادان من حرب شرسة خسرَا فيها الأخضر واليابس مع عدوّ لا يستهان به، تفاجئا عند وصولهما بوجود عثمان الديثرتي ينتظرهما في بيت حاتم, والذي كان يرحب به ذلك الآخر, ويتذلّل له, وكأنّه في ضيافة أحد خلفاء الأمة وليس دجالًا, أو عالمًا كما يدعي.

اختفت الابتسامة من على وجه حاتم بمجرد دخول يوسف وياسين إلى الغرفة, ممّا علا وجهيهما من سوداوية تشبه سوداويات الكاتب أدجر آلان بو.

- ما لكم! فيه إيه؟

قال حاتم مستفسرًا عن ذلك التغير الظاهر عليهما.

- خليفة صاحبنا, اتقتل هوّ كمان, جثته مفيهاش عضم!

ردّ يوسف وهو ينتزع الكلمات من داخله وكأنّه هو مَن حدث له ذلك، ليظهر الأسى على وجه الديثرتي, ويقول:

- يبقى أنا كده جيت متأخر.

- متأخّر عن إيه!؟ وبعدين انتَ عرفت العنوان ازّاي؟ واللّا دي برضه من حاجات علمك!

كانت الرّد من ياسين الذي لم يكن يفهم هو الآخر- بجانب يوسف- لماذا جاء ذلك الشخص إلى هنا؟ وكيف؟ ليردّ عليه الديثرتي بجدية:

- لا ماهو مش وقت اللّي انت بتعلمه ده خالص, ولو جيت هنا ازّاي فاللّي يسأل ميتوهش يا سيدي.

- معلش متآخذهوش يا أستاذ عثمان, إحنا بس أعصابنا تعبانة من اللّي احْنا فيه, أنت منوّر طبعًا.

قال يوسف في محاولة لتخفيف التوتر, والترحيب بالضيف الذي لم يتوقعه هو أيضًا, ليردّ عليه عثمان:

- مش مهم يا يوسف, المهم دلوقت أنا لقيت حلّ للّي انتوا فيه. ومفيش وقت عشان دي الليلة القمرية التالتة, ولازم كلّ حاجه تخلص النهارده.

- بجدّ! بجد لقيت حلّ؟طب تفاجئا عند وصولهما بوجود

- هفهّمك يا يوسف, أنا قلت إني هحاول أساعدكم, بعد ما مشيتوا كان بيني وبين نفسي مش عايز اعمل كده, وأدخّل نفسي في حوارات أنا في غنى عنها, بس لمّا فكّرت شوية لقيت إن فكرة إن فيه حاجة زي دي تبقى قدامي وانا مدوّرش عليها ومواجهّاش استفزتني, يعني تقدر تقول كده إن فضولي العلمي للماورائيات هو اللّي حرّكني إنّي أدوّر. المهم فضلت أدور في الكتب لحد مالقيت كتاب مش عارف أنا جبته إمتى واللّا منين... بس ما علينا, كان بيتكلم عن طلسم لو اتعمل في الليلة القمرية يقدر يوقف العازف, أو بمعنى أدقّ يعطّله لحدّ ميعاد الليله القمرية اللي بعدها.

- يعني إحنا ممكن نعطل لحدّ السنة الجاية؟

قال ياسين وعلى وجهه علامات الفرح التي ما سرعان أنِ اختفت وهو يقول بيأس:

- بسّ ماهو كده في ميعاد السنة الجاية هييجي ويقتلنا, ونبقى معملناش حاجة.

- يا سيدي نوقفه بس الليلة دي وبعد كده قدامنا سنة كاملة أعمل فيها أبحاث عنه وعن قدراته لحدّ ماعرف نوقفه خالص ازّاي. المهم دلوقت تلحقوا, الساعة دلوقت تسعة وانتوا لازم تعملوا كده في أسرع وقت قبل طلوع الفجر.. عشان هوّ لازم يموّت كلّ الأضحيات في التلات ليالي القمرية؛ عشان النبوءة تتم, فإحنا عايزين نلحقه.

- أيوه يا أستاذ عثمان, ماهو لسه بدري, قلّنا نعمل إيه ونعمله دلوقت حالًا.

كانت تلك من يوسف الذي ارتسم على وجهه ابتسامة وفرح طفل ينظر إلى هدية أحضرها له والده، ليُحبطه ردّ عثمان عليه:

- ماهو الطلسم ده مينفعش يتقال هنا, ده لازم يتقال على قبر المقرضي, أو بمعنى أدق على جثمانه.

سادَ الصمت على جميع مَن كانوا في الغرفة ممّا قاله الديثرتي, حتّى قطع ذلك الصمت حاتم وهو يقول:

- أيوه.. بس يا شيخنا همّا هيعرفوا مكان القبر ده منين؟!

- أنا جايبلهم مكانه, العنوان في الورقة أهه, القبر موجود في قرية نائية على مشارف السلوم هتلقوا اسمها جوّه برضه.

قال عثمان وهو يعطي ياسين الورقة, الذي أخذها ثمّ تصفح العنوان بها, ثمّ وضعها في جيبه قبل أن يقول بطريقة غاضبة يشوبها السخرية:

- يعني احنا المطلوب منّنا دلوقت عشان مانموتش نروح ندوّر على قبر ساحر ابن وسخة في آخر الدنيا ونقرأ عليه طلسم, ويا عالم الطلسم ده هيعمل فينا إيه! ده إحنا على ما نوصل هنكون مُتْنا أصلًا.

- والله هو ده اللّي عندي, ولو مش عجبك اقعد في بيتك لحدّ ما يجيلك العازف ويقتلك ويسلخ جلدك حيّ انت كمان.

- لا.. لا, يا شيخ عثمان, هو أكيد ميقصدش كده, اهدى يا ياسين بس, واسمع كلام شيخنا.

كانت تلك من حاتم في محاولةٍ لتهدئة الأجواء التي اشتعلت بين الاثنين قبل أن يكمل ويقول:

- يا سيدي, لو على العربية أنا هروح دلوقت أجيبلكم عربية تكون رايحة السلوم تنقلكم من هنا لحدّ القريه دي, إن شا الله تاخد خمسمية جنيه.

قال حاتم وهمّ بالانصراف, ثمّ توقف ليسلم على الديثرتي, ويستأذنه للذهاب. أذن له الديثرتي ليخرج مهرولًا إلى الطريق ليكمل الديثرتي:

- بصّوا بقى.. الطلسم ده اللّي هيقراه هو يوسف.

- نعممم! ليه؟ أنا أقراه ليه, ما ياسين يقراه!

ردّ يوسف بعفوية, وأبدى اعتراضًا شديدًا على قراءته للطلسم, ليردّ عليه الديثرتي:

- لأن عشان الطلسم يشتغل لازم يقراه واحد يتيم اتربّى على إيد واحد تاني كأنه ابنه بالظبط, بالإضافة إنك مميز, بص هو يمكن متفرقش معاك اللّي بقوله, بسّ هو مهم قوي عشان يتنفذ الطلسم ويشتغل.

نظر ياسين إلى يوسف قبل أن يقول:

- هوّ انت يتيم؟

- آه يتيم, أبويا وامّي ماتوا وانا صغير, واتربيت على إيد راجل طيب كده بيقول إنه لقاني قدام باب جامع, وهو اللّي رباني, وحاتم ده يبقى ابن أخت الست اللّي ربّتني, بسّ طول عمري بعتبره ابن خالتي فعلًا.

قالها يوسف وهو بادٍ عليه الحرج من كونه يتيمًا وليس لديه عائلة، لينقذه من ذلك الحرج وهو يقول:

- عشان كده أنت المميز, ولازم تقول الطلسم عشان يشتغل, وعشان حاجات تانية مش مهمّ دلوقت.

قطع كلامهم دخولُ حاتم يبلغهم بحضور السيارة التي سوف تنقلهم إلى مقابر تلك القرية النائية في السلوم، ليسلّم كلّ منهما على حاتم وعثمان قبلَ أن يتجهَا إلى السيارة قبل أن يوقفهم عثمان وهو يقول:

- خدوا بالكم, أكيد العازف عارف إنكم هتروحوا, وهيحاول يمنعكم, أول لمّا توصلوا هناك دوّروا على عمّ عتمان؛ ده بتاع المقابر هناك, أنا مرسّيه على الليلة كلها, ربنا معاكم.

خرج الاثنان, ثمّ ركبَا في السيارة النقل المحملة بالخضروات التي كان سائقها في غاية السعادة بالأموال التي تركه له حاتم حتّى يوصلهما في طريقه, وظهر ذلك جليًّا في عدّه للفلوس التي كانت أكثر بكثير من المبلغ الذي قاله حاتم قبل أن يخرج..

انطلقت السيارة إلى مشوار النهاية..

ولكن, هل هي نهاية العازف.....

أم نهايتهم؟!

****

- خالد باشا.

قالها أحد رجال المباحث الذي كان قد سبق وأن وكّل له خالد مهمة مشاهدة الكاميرات ليخبره بأي جديد. نظر إليه خالد وهو يدعو الله أن يكون هناك أمر جيد في الكاميرات:

- خير يا أمين بسيوني, لقيت حاجة؟

- آه سعادتك, وأفضّل إنك تيجي تشوفها بنفسك.

اتّجه خالد على الفور إلى جهاز الكمبيوتر الذي استعاره من أحد الجيران للمشاهدة عليه ليجد أمامه فيديو من محل الكشري الذي يقع خلف العمارة قبل حدوث الجريمة بدقائق بسيطة ويظهر شخص يرتدي جاكت بغطاء رأس وهو يتّجه إلى باب العمارة الخلفي قبل أن يتوقف ليلتفت وراءه ليطمئنّ أن لا يوجد أحد يراقبه, ولكنّه لم يكن يعلم أنّ وجهه أصبح واضحًا الآن إلى كاميرات المحل... ليُصدم خالد ممّا رآه فهذا هو آخرُ شخص كان يتوقع أن يكون القاتل, ليقول وعلى وجهه علامة الدهشة, وهو يضرب على المكتب من الانفعال:

- يا ابن الكلاااااااب.

ليتّجه فوره إلى الجهاز لينادي على العميد حسام:

- عمليات.. عمليات, وصّلني يا ابني بسرعة إلى عميد حسام مفيش وقت.

- إيه يا خالد فيه إيه؟

جاء الرد على الفور من الجهة الأخرى بمجرد أن سمع الإشارة:

- سعادتك إحنا عرفنا حلّ الجريمه حضرتك, لازم تيجي بسرعة وتشوف الفيديو بتاع الكاميرات.. أظن إحنا عرفنا مين القاتل.

_إيه! أنا جاي حالًا, أنا لسّه في الطريق هلفّ وارجع.

ليتبع انتهاء كلامه صوت عجلات السيارة وهي تصفّر على الأرض من آثار تغير المسار, وحجم المفاجأة..

ليتّجه إليهم لمعرفة ذلك القاتل.

****

- أنا مش مصدق إننا هنخلص من اللّي احنا فيه ده أخيرًا.

كانت تلك من ياسين الذي ارتفع لديه الأمل الآن بعد أن شعر أنّ هذه هي النهاية؛ نهاية ذلك الخوف المستمر، ليردّ عليه يوسف بنبرة غريبة:

- هوّ احنا هنخلص, بس ازّاي معرفش, ماهو خد بالك الموت برضه خلاص.

لينظر إليه ياسين باستغراب قبل أن يقول:

- يا عمّ فال الله ولا فالك, أنت إيه يا أخي لو انبسطت تتحرق, اهدى شوية, وادعي إنها تسلك وتخلص.

ليردّ عليه يوسف بعد أن أغمض عينيه وهو يسند رأسه إلى مسند الرأس لينام قليلًا:

- ما هي هتخلص, هتخلص يا ياسين.

وصلَ العميد حسام الذي اتجه على الفور إلى الداخل, وبدون أيّ كلام سابق, وبمجرد رؤيته لخالد قال:

- فين.. فين الفيديو يا خالد, ورّيني.

أدار خالد بسرعة شاشة الكمبيوتر, وضغط على الأزرار ليتمّ تشغيل الفيديو.. الذي بمجرد أن رآه العميد حسام جحظت عيناه من المفاجأة.. وأخذ يتساءل مع نفسه ويعيد عرض الشريط, هل كلّ ذلك الوقت كان يستغفلني, أكنت ألعوبة بين يدي ذلك الأحمق كلّ ذلك الوقت, وجعلني أذهب وراءه, ووراء وهْم المقرضي من أجل أن أترك له الوقت لينفّذ جريمته!

- خالد, ابن الكلب ده فين دلوقت؟

- سعادتك, أنا بلّغت المراقبة اللّي وراه وقالوا إنه اتحرّك من شوية, وراكب عربية, وعلى طريق السلوم, بس.. بس ضاع منهم.. وانا جهّزت العربية تحت عشان نلحقه سعادتك.

- بلّغ كلّ دوريات الطريق بأرقام العربية اللّي فيها العيال دي, أنا عايز الواد ده هنا النهارده, أنت فاهم! وحصّلني على العربية تحت عشان هنروح مشوار قبل ما نطلع وراه.

- مشوار إيه ده سعادتك؟

- بعدين هتعرف يا خالد.

قالها حسام واتّجه على الفور إلى السيارة ليظهر من وراء شاشة الكمبيوتر التي أصبح واضحًا الآن من يوجد به, الذي لم يكن سوى...

يوسف حسن.

- وبعدين بقى في العطله دي!

قال سائق السيارة وهو يتأفّف من الزحام المعتاد في ذلك الوقت على بوابات القاهرة, فكل السيارات الكبيرة تتحرك الآن بكلّ تأكيد، ليحرّك ياسين رأسه وكأنه بكلامات على ما قاله من ذلك الزحام الغريب, فذلك ليس الوقت المثالي لذلك الزحام، ليفتح يوسف عينيه وينظر إلى الطريق قبل أن يقول بكلّ ثقة:

- هتسلك دلوقت.

لتتحرّك السيارات بطريقة غريبة, وكأنّه لم يكن هناك سببٌ للوقوف من قبْل ليفرح السائق من قدرة يوسف, ويقسم أنه من الأولياء, ليبتسم يوسف على هذا الإطراء, ثمّ ينظر إلى ياسين الذي كان ينظر إليه بغرابة شديدة ليقول له:

- إيه, مش الديثرتي قالّك إني مميز, أومّال انت فاكر أنا كنت بطلع الأول على الدفعة كلّ سنة ازّاي!

ثمّ يضحك ليعود للنوم مرة أخرى.

******

وصلت سيارات الشرطة إلى منزل حاتم الذي ما أن وصلت حتّى تفاجأ مّن توجّههم إليه, فقد كان يظن أنّ تلك السرينة قادمة لأحد غيره, فذهب على الفور ليفتح لهم باب المنزل:

- أهلًا بالبشوات.. خير! أقدر أساعدكم ازّاي؟

- يوسف وياسين راحوا فين يا ابني؟

قالها حسام وهو على باب المنزل، ليأتي ردّ حاتم بالصمت قبلَ أن يقول ظنًّا منه أنهم سوف يعيقونهم عن فعل ما يريدون:

- معرفش. كانوا هنا ولسّه خارجين.

- آه صحّ طبعًا متعرفش.. بأمارة إنك جبتلهم عربية تاخدهم من شوية.

كانت تلك المرة من خالد الذي بمجرّد أن أنهى كلمته وجّه على الفور لكمة مباغتة إلى أنف حاتم الذي سقط على الفور على الأرض يتألم منها, وأنفه ينزف بغزارة, ليكمل خالد كلامه:

- أظنّ دلوقت انتَ افتكرت همّا راحوا فين, صحّ واللّا إيه؟!

ليردّ حاتم بسرعة هذه المرّة بعد تألم ليس بالبسيط من ألم الضربة:

- آه, آه يا باشا افتكرت.. دول راحوا عند السلوم, قرية كده على حدود السلوم, راحوا عند قبر المقرضي لو حضرتك تعرفه.

أمسك حسام بذراع خالد على الفور وهو يقول:

- حسام, مفيش وقت خلّينا نتحرّك على الطريق. وخلّيهم يبلّغونا مكان القبر ده فين بسرعة.

أنهى جملته ثمّ توجّهوا جميعًا إلى السيارات التي كان عددها أكثر من خمس سيارات ليتجه على الفور إلى تلك القرية الموبوءة, وخالد يعطي الإشارة للعمليات بأن يتم البحث عن عنوان قبر المقرضي ويبلّغهم بأقصي سرعة.

****

وصلَ الشابّان إلى مكان المقابر, وبمجرد نزولهما من السيارة توجّه إليهما رجل عجوز في آخر العقد الستيني الذي عرّف نفسه بأنه يدعى عتمان, وأنّ الشيخ الديثرتي بلّغه بكلّ شيء, ثمّ أنهى كلامه بأنه سوف يقودهم إلى القبر, ثمّ تحرّك وترك الاثنين ينظران إلى بعض وكأنهما يقيّمان الموقف, ثمّ تحركا خلفه إلى....

داخل المقابر...

قاصدينَ قبر الملعون المقرضي.

****

وصلت سيارات الشرطة التي كانت تنهب الطريق إلى بوابات القاهرة في غضون الساعة الواحدة بعد منتصف الليل, وبمجرد وصولها أفسحت جميعًا السيارات لها المجال لتمرّ ليخبر خالد العميد حسام بمجرّد ممرّهم من البوابات بأنه قد حصل على موقع قَبر المقرضي ليردّ عليه حسام:

- هايل يا خالد.

- سعادتك, كان فيه حاجه تخصّ الكتاب مش عارف لو هتفيدك واللّا لأ.

- قول يا خالد فيه إيه؟!

- الكتاب مطلعش ليه أيّ أثر خالص, بسّ امّا اتحرّينا على المطابع؛ فيه مطبعة صغيرة قالت إن في شابّ جَه وصمّم غنه يطبع نسخة واحدة من الكتاب, وادّاهم مبلغ كبير جدًّا مقارنة بالطباعة.

- وطبعًا اللّي عمل كده هو يوسف!

- أكيد سعادتك.

- ابن الكلللللللب

****

وصل يوسف وياسين إلى قبر المقرضي الذي بمجرّد دخولهم إليه حتّى بدأ عتمان في عمله بنبش القبر على مرأى ومسمع من يوسف وياسين الذي كان يشعر بقلق عارم, أمّا يوسف فقد كان يشعر بقرب انتهاء...

انتهاء مهمّته.

****

دخلت سيارات الشرطة مشارف القرية وسط مشاهدة من سكان القرية الذين تفاجئوا من وجود كلّ ذلك العدد من السيارات التي بلغت ٧ سيارات؛ بعد أن انضمّت إليهم سيارات شرطة محلية من قسم القرية بأمر من الوزير حتّى تكون مرشدة لهم في القرية, واتّجه إلى آخر القريه حيث تقع المقابر.

****

نزل كلّ من ياسين ويوسف إلى القبر ومعهما عتمان الذي توجّه إلى كفن المقرضي, ثمّ أزاح عنه الكفن ليختنق مَن كان في المكان جميعًا ويسدّوا أنوفهم- باستثناء شخص واحد- من رائحة الجثة العفنة، ثمّ اتجه عتمان إلى آخر القبر وتوقف، فنظر إليه كلّ من يوسف وياسين ليقول لهما:

- لا ماهو سيدي الديثرتي قالّي مفارقكمش حتّى لو على موتي.. أنتوا عايزين مولانا يزعل واللّا إيه؟!

أهمل ياسين الأمر, ثمّ نظر إلى يوسف ليستعجله لينهي الأمر, ليتحرك ذلك الأخير ويقف أمام الجثة, ويجعل ظهره إلى ياسين ويخرج الورقة ليقرأ الطلسم.....

ليجد الورقة بيضاء, لا يوجد بها شيء، قبل أن يستوعب يوسف بعد ماذا حدث, وجد عتمان يلقى على الأرض بالقرب منه ومن جثة المقرضي, ولكن وهو جثة هامدة...

لينطر خلفه ليجد ياسين, وعلى وجهه ابتسامة الشيطان نفسه...

قبل أن يقول..

- نسيت أعرّفك بنفسي..

أنا العازف.. المختار.

****

وصلت سيارات الشرطة إلى المقابر, والتي بمجرّد الوصول ترجّل رجال الشرطة منها لضيق المقابر, واتّجهوا إلى الداخل حتّى يصلوا إلى قبر المقرضي, الذي لسوء حظهم كان يقع في آخر المقابر.

****

- إزّاي... إزّاي قدرت؟!!!

كانت تلك هي الكلمات التي طاوعت يوسف لتخرج من فمه بعدَ تلك الصدمة التي تعرض لها، ليبتسم ياسين على أثرها ويقول:

- كم أعشق هذه اللحظة؛ لحظة المفاجأة... أتعلم أنّ البشر هم المخلوقات الوحيدة على كوكب الأرض التي يختلف ردّ فعلها عند الصدمة من شخص إلى آخر! ولكن دعني أخبرك بشيء وهذا بما إنّك آخر واحد سوف يُقتل في سبيل النبوءة, ولذلك سوف أجعلك مميزًا عمّن قتل قبْلك.. أولًا أنا يتيم مثلك, ولكني أنا مَن قتلَ أبي وأمّي, فبكلّ بساطة كان يجب أن أتخلّص من كلّ شيء يربطني بعالم البشر حتّى تزيد قوتي في عالم الجن, وحينما اضطررت للعودة له عدت مرة أخرى في مكان آخر, ليتبنّاني شخص طيب هو وزوجته, ويجعلني ابنًا له, ويسمّني على اسمه, ثمّ بعد ذلك حينما أصبح وجودي في الجامعة أمرًا واقعيًا للبشر, قتلتهم همّا الاثنين بدم بارد... أمر جميل حقًّا ذلك القتل, ثمّ بعد ذلك أصبح الأمر بسيطًا, سوف أختار الأضحيات التي سوف تقتل في سبيل النبوءة, ولكن كان لا بدّ من اختيارهم بدقة, ومن حُسن حظي, وتوفيق مالك الجن الأعظم رقيائيل في تدريبي؛ وجدت اثنين من الأضحيات أصدقاء في نفس جامعتي, ألم يكن ذلك سهلًا! ثمّ أحضرتك أنت فأصبحت أنت الأضحية الأخيرة, أتدري لماذا؟ دعني أخبرك.. لأنّك من نسل المقرضي.

صُدم يوسف ممّا قاله ياسين, فهو لا يصدق ولا كلمة واحدة ممّا قال, ليكمل ياسين مهملًا شعوره:

- بالإضافة إلى ذلك أنت أيضًا كنت طفلًا زوهريًّا, ولكنْ بفضلي لم يعلم ساحر واحد عنك. وبفضلي جعلتك تنجح وتدخل نفس الكلية وأيضًا أنت كان لديك فضل قليل أو موهبة لنجاحك وتفوّقك هذا, أمّا بالنسبة للكتاب أظن إنك علمت مَن أحضره ووضعه في غرفتك, وأوزع لسمير أن يحضرَه.... هههه.

أنا بكل تأكيد, أما بالنسبة للديثرتي فأنا من أعطاه الكتاب لكي يعلم الطلسم الذي كان سوف يوقفني في حقيقة الأمر.. ولكن انتهزت

فرصة نومك وقمتُ بتبديله بتلك الورقة أثناء الطريق, أمّا بالنسبة لسؤال: لمَ أحضرتك إلى هنا؟ فهذا لكي تتم النبوءة يجب أن ينهال دمُ الابن على جسد الأب؛ فأنت في حقيقة الأمر ابنٌ لذلك الساحر الأحمق, كانت أمك حاملًا بك في الحرام- كما تقولون, وهربت خوفًا من والدك-, ولكنْ هناك مشكلة واحدة وهي أنّ من يقتلك يجب أن يكون بشريًّا وليس المختار، ولذلك جعلتُ البوليس يظنّ أنك أنت العازف, وهم في الطريق الآن.. أتدري كيف؟!

لم ينتظر العازف ردَّ يوسف عليه ليكمل كلامه:

- ببساطة جعلت شكلي يشبه شكلك بشدّة وأنا ذاهب لقتل خليفة, ولأني كنت أعلم أنّ إحدى الكاميرات تقوم بالتصوير, التففت إليها حتّى يظهر وجهي بالكامل.. أو وجهك بمعنى أدقّ, وما هي إلا دقائق ويأتون لقتلك....

يا جووووو.

****

وصل حسام وخالد إلى القبر ليجداه مفتوحًا، اقتحما القبر بسرعة ليجدَا يوسف يقف على الجثة وأمامه ياسين الذي بمجرّد دخولهم صرخ في وجه خالد:

- إلحقني بسرعة يا باشا, واقتله؛ ده في إيده سلاح, وعايز يموتني.

رفع خالد سلاحه في وجه يوسف وهو ينظر إلى السلاح الممسوك في يده... نظر يوسف إلى يده ليجد سلاحًا لا يدري مِن أين أتى به, ولكن ليس ذلك هو السؤال؛ المهمّ الآن رفع يده إلى خالد ليصرخ في

استنجاد بأنه بريء, ليجد لسانه لا يطيعه, وأيضًا يده, التي وجدَها موجّهة إلى رأس خالد بالسلاح..

ليسرع خالد ويطلق طلقتيْن؛ إحداهما استقرّت في رأس يوسف, والأخرى في صدره ليسقط ذلك الأخير على جثمان أبيه المقرضي...

ليسقط دم الابن..

على جسد الأب..

ويبتسم ياسين معه في هدوء.

(تمّت بحمد الله)

خرج ياسين من قسم الشرطة بعد أن أدلي بأقواله في القضية- قال بلطبع كلّ ما يدين يوسف بها- على مرأى من كلّ من خالد وحسام اللذيْن يراقبانه من خلف شباك القسم المظلم حتّى لا يلاحظ. نظر خالد إلى حسام وهو يقول:

- كده خلاص يا باشا, أخيرًا.. أمّ القضيه دي خلصت! تخيّل ابن الجزمة كان واخده المقابر وهو مفهّمه إن الطلسم لمّا يتقرى على الجثة هيخلص من الليلة! أكيد كان عايز مكان فاضي عشان يخلّص عليه هناك ويهرب, بسّ الحمد لله خلّصنا القضية.

- تفتكر؟!

قالها حسام ومازالت عينه معلقة بياسين الذي اقتربَ من نصف الشارع.

- قصدك إيه سعادتك؟!

- قصدي إنّ إحساسي بيقولّي إننا هنشوف الواد ده قريّب قوي... لسّه مخلصتش يا خالد, لسّه.

- أنتَ أخدت بال سعادتك... أنا أوّل مرة آخد بالي إن ياسين فيه حَوَل في عينه.

ليسودَ الصمت, وكلّ منهمَا ينظر إلى الآخر.

النهاية .